دستور آداب السلوك إلى ملك الملوك

للامام المجدد السيد محمد ماضي ابوالعزائم

مسجده وضريحه ومكتبته العلمية بالقاهرة

ومشيخة الطريقة العزمية

السيدة زينب تقاطع شارع مجلس الشعب مع تقاطع شارع بورسعيد

تليفون المكتبة / 002 022 3901030

بسم الله الرحمن الرحيم

فاتحة الكتاب

الحمد لله الذى جذب قلوب من سبقت لهم منه سبحانه الحسنى ، فساحت نفوسهم فى ملكوت السموات و الأرض مشاهدة آياته العلية ، و الصلاة و السلام على الرءوف الرحيم بالمؤمنين ، و غياث الخلق يوم الهول الأعظم ﴿ ﷺ وآله﴾ و ورثته . و رضى الله تبارك و تعالى عن إمامنا و مرشدنا الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبى العزائم ، و نضر الله وجه خليفته الأول السيد محمد ماضى أبى العزائم ، و نضر الله وجه خليفته الأول مولانا الإمام الممتحن السيد أحمد ماضى أبى العزائم .

و بعد .....

فإن الله سبحانه جعل العلم نورا لبيان سبله ، و تفضل على أمه حبيبه و مصطفاه ﴿ ﷺ وآله﴾ ، بأن أكرمنا سبحانه بمن يجدد لنا أمر ديننا بعلمه و عمله و حاله فى القرن الرابع عشر الهجرى ، و هو الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم رضى الله عنه و أرضاه ، و قد شرح الله صدر والدى الإمام الممتحن السيد أحمد ماضى أبى العزائم رضى الله عنه و أرضاه بأن تلقى تلك العلوم من

الإمام ، و تعميما للنفع رأيت أن أعيد طبع هذا الأثر الجليل (دستور آداب السلوك إلى ملك الملوك) للمرة الثالثة .

و لما كانت طبعته الأولى تضم ستة أجزاء ، الجزء الأول صدر يوم الخميس ١٠ جمادى الأولى سنة ١٣٤١ هـ ، و الجزء الثانى صدر يوم الخميس ١٧ جمادى الأولى سنة ١٣٤١ هـ ، و الجزء الثالث صدر يوم الخميس ٢٢ جمادى الثانية سنة ١٣٤١ هـ ، و الجزء الرابع صدر يوم الجمعة ٢٥ محرم سنة ١٣٤٢ هـ ، و الجزء الخامس صدر يوم السبت ١٥ ربيع الثانى سنة ١٣٤٢ هـ ، و الجزء السادس صدر يوم الأربعاء غرة رجب سنة ١٣٤٢ هـ .

و بالاطلاع على هذه الأجزاء الستة وجدتها تدور حول أربعة مواضيع رئيسية :

الموضوع الأول : بيان الواجبات على المسلم .

الموضوع الثانى : الأصول التى بها الوصول .

الوضوع الثالث :

السنة ، و الإجماع ، و الرأى ، و الصلاة ، و الزكاة .

و الموضوع الرابع : التوحيد .

فجمعت عناصر هذه الموضوعات فى أربعة أبواب هى كل مايشمله هذا الكتاب من أبحاث ، مع تقديم بعض الأبحاث أو تأخيرها ، حتى تصبح هذه الأبحاث مطابقة للموضوعات الأربعة الرئيسية التى يتناولها هذا الكتاب .

و قد من الله تابرك و تعالى على بالتوفيق – رغم كثرة الأعمال – فله الحمد على نعمة و آلائه ، و الشكر له على مننه ، و إليه جل شأنه أبتهل أن يمدنى دائما بالتوفيق و يلحظ عملى بعين القبول إنه حميد مجيد .

دار الكتاب الصوفى

فى يوم الاثنين

٦ شعبان ١٤١٢ هـ

١٠ فبراير ١٩٩٢ م

الخليفة الثاني

السيد عز الدين ماضى أبو العزائم عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الأولى

١٣١٤هـ - ١٩٢٣ م

الحمد لله قابل التوب و غافر الذنب شديد العقاب ،له الشكر سبحانه ، يحب التوابين و يحب المتطهرين ، و يغفر الذنوب جميعها ، و الصلاة و السلام على من أرسله سبحانه للناس بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله و لو كره المشركون ، و على آله و صحبه و سلم ، و بعد ....

فيقول الخويدم أحمد ماضى أبو العزائم : إنى لما أمرت بزيارة الإخوان و مشاهدة أحوالهم ، و كلفت بتقديم مذكرات أبين فيها ما رأيته ، تبين لى احتياج فقراء آل العزائم إلى دستور تتضح به الآداب التى يجب أن يعمل بها السالك فى طريق الله .

فرأيت أن ألتمس من والدى الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبى العزائم ، أن يملى على ما لابد لفقراء الطريق منه ، من الآداب ، و بيان الخفى من الطريق فى رسائل صغيرة ، و ها هو ما أملاه علينا رضى الله عنه فى ستة أجزاء تحت عنوان : (دستور آداب السلوك إلى ملك الملوك) فنشرت تلك الحكم العلية التى لا غنى للسالك فى طريق الله عنها – خصوصا فى هذا الوقت – كما قمت بضبطها من غير تصريف و لا تحريف .

و هذه الأجزاء الستة تحوى :

١ – ماء الأحكام .

٢ – و لبن الحكمة .

٣ – و خمر العرفان .

٤ – و عسل التمكين .

أسأل الله تعالى أن يديم هاطل هذا الغيث ، و أن يمد أهل المحبة من المسلمين عامة – و من آل العزائم خاصة – بروحانية رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ . كما أسأله سبحانه و تعالى أن ينفع بهذا الكتاب ، و يجعله وسيلة إلى معرفة آداب السلوك إلى ملك الملوك ، إنه غاية السؤال و منتهى المأمول ، و الله ولى الرشاد و السداد .

تـــمهـــيـــد

الـــدستـــور

لكل مجتمع دستور ، يضبط له ما يضمن الهناء و الرفـــاء و الأمـــن و حسن المعاملة ، و السالكون إلى الله سبحانه أشد الناس حاجة إلى مابه حفـــظ صحتهم الروحانية ودوامها لتحصيل ما به نيل السعادتين ، و الفوز بالحسنيين ، و القرآن الشريف و السنة السمحاء هما الكفيلان بنيل الحسنيين لكل فـــرد و للمجتمع .

و لما كان السالك إلى الله سبحانه و تعالى ، لابـــد و أن يتـــرك مـــالا ضرورة إليه من الدنيا للآخرة ، و كان البيان الضامن له بالفوز لنيل مـــراده ، الذى أفرده بالقصد دون غيره ، خفيا كنفائس الجواهر فى جوف البحار ، و هو عند الخاصة نعيم الآخرة فى جوار الأبرار ، و عند آل العزائم رضوان الله الأكبر و عند الخاصة من آل العزائم تفريد الله بالقصد دون غيره ، طمعا فى النظر إلى وجهه الكريم ، و الخاصة الخاصة منهم ما لا يسطر على صفحات الأوراق .

لزم السالك أن يجاهد نفسه قبل الدخول فى الطريق بآداب الشـــريعة العامة ، بتلقى العقيدة الحقة من أهلها ، و تحصيل الأخلاق الجميلـــة بفـــادح المجاهدة ، و تحصيل علم الأحكام و حكمها عبادة و معاملة ، و يقوم لله تعـــالى مطهرا قبله من مرض الهوى و سقم الحظ اللذين يجعلان السالك بـــلاء علـــى إخوانه فى طريق الله .

الباب الأول

بيان الواجبات على المسلم

أولا : تحصيل ما به كمال التصديق :

أول واجب على المسلم تحصيل ما به كمال التصديق ، الذى هو الإيمان حقا ، لأن الإيمان هو تصديق رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ فيما جاء به من عند الله تعالى ، و بينه لنا ﴿ ﷺ وآله﴾ بالقول و العمل و الحال ، حتى وضحت العقيدة الحقة ، و العبادة الخالصة ، و المعاملة الجميلة ، و الأخلاق الفاضلة ، لكل مسلم مهما كان عقله ، لأن الله تعالى طالب العامة بالتصدي فقط ، و أثنى عليهم إذا هم تشبهوا برسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ عبادة و معاملة و أخلاقا و سلموا له تسليما يقتضى كمال التصديق و الإيمان ، قال سبحانه و تعالى : ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ ([1])

ثانيا : تحصيل ما به اليقين بطلب العلم النافع :

الواجب الثانى على المسلم ، تحصيل ما به اليقين بطلب العلم النافع الذى حث الله تعالى على طلبه ، و فرضه رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ على كل مسلم و مسلمة .

([1]) سورة البقرة آية ٣ .

العلم و الإيمان :

بينت لك الإيمان ، و عرفتك أنه التصديق بما جاء به النبى عليه الصلاة و السلام ، وقد شرحت لك العلم و الإيمان فى كتاب : (معارج المقربين) ، و أعلمتك أن النجاة يناها المسلم بالإيمان بالغيب لقوله تعالى : ﴿أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ([1]) .

و ليس الأمر كما قرره علماء الكلام من أن طريق معرفة الله تعالى : العقل ، و أن المقلد كافر ، و هذا الحكم إنما دخل عليهم من طريق أنهم جعلوا الإيمان علما من طريق النقل ، و العلم علما من طريق العقل ، و الحقيقة أن الإيمان شىء ، و العلم شىء آخر ، لأن الإيمان تصديق المخبر فى خبره ، و العلم تصور رسوم المعلوم على جوهر النفس ، و لو أن تحصيل معرفة الله تعالى لا يكون إلا بالعقل لفاز بها أهل العقول التى اخترعت الصناعات و الفنون و الحرف المدهشة ، و لحرم منها أهل التسليم و الإيمان من كمل أهل الله تعالى .

و الحقيقة أنا نرى أكثر العارفين بالله الذين منحهم الله الحكمة الربانية ، و المشاهدة القدسية و الحوال النبوية و الهمة العالية فى طلب الله تعالى ، و احتقار زخارف الدنيا و زينتها ، هم أهل التسليم و الاعتقاد الذين يظنهم أهل الكفر بالله تعالى و أهل الغرور به سبحانه و تعالى مجانين ، و لو أن معرفة الله كانت بالعقل لسبقنا إليها أهل أوربا و أمريكا و اليابان ممن أشبهوا السمك غوصا فى البحار ، و الطيور سياحة فى الجو ، و الشياطين اختراعا للآلات الجهنمية الماحقة للإنسان ، بل فاقوا إبليس كيدا فى محاربة الحق ، و المسارعة إلى إطفاء نوره بقوة عقولهم .

([1]) سورة البقرة آية ٥ .

طريق معرفة الله تعالى :

طريق معرفة الله تعالى : عناية الله أزلا ، و ولايته سبحانه و تعالى أبدا ، و تتحقق عناية الله بنا إذا جعل لنا نورا فى قلوبنا نقبل به الحق ، و تفضل علينا بمرشد كامل ، يبين لنا ما خفى من آثار رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ و يجدد لنا ما اندرس من مناهج السلف الصالح بقوله و عمله و حاله ، ثم منحنا التسليم و الطاعة له – ما دام على ما كان عليه أئمة الهدى من أصحاب رسول الله و التابعين لهم بإحسان رضى الله عنهم أجمعين – فإن غفل نبهناه ، و إن نسى ذكرناه ، و هذا واجب علينا معه لنجاة أنفسنا .

خير نعم الله علينا :

خير نعم الله علينا هو سيدنا و مولانا محمد﴿ ﷺ وآله﴾ ، قال الله تعالى : ﴿ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾ ([1]) فنعمة الله العظمى التى من الله بها علينا هى سيدنا و مولانا محمد ﴿ ﷺ وآله﴾ .

ما النعمة التى تلى الرسالة ؟ :

كل إنسان يسارع لنيل نجاته فى الدنيا و الآخرة ، و لا نجاة للإنسان إلا بالإسلام ، فالنعمة التى تلى نعمة الرسالة : تفضل الله على الإنسان بالنور الذى

([1]) سورة آل عمران آية ١٠٣ .

يقبل به ما جاء به النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ قبولا يجعله مطيعا لمحـــاب الله و مراضـــيه سبحانه .

و ولاية الله لنا أبدا ، أن يعيننا سبحانه و تعالى على دوام الإقبال عليه ، محفوظين من المعصية و أسبابها ، و أن يوفقنا للتوبة النصوح بعد المعصية ، فأنـــا لسنا معصومين ، قال سبحانه : ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ (١) .

(١) سورة الأعراف آية ٢٠١ .

الباب الثانى

الأصول التى بها الوصول

أولا : اتباعه صلى الله عليه و سلم :

أصل الوصول الذى به نيل محبة الله للعبد و الفوز بالحسنيين هو اتباع رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ ، قال الله تعالى : ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ (١) .

إن الله سبحانه و تعالى بين لنا أن الناس قسمان : شقىو سعيد ، قالشقى من أشقاه فى الأزل ، و السعيد من أسعده إلى الأبد ، قال تعالى : ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ (٢) و الأصل فى ذلك العناية ، فمن سبقت لهم من الله الحسنى أقامهم عمالا له سبحانه بالإخلاص فى محابه و مراضيه مهما قدر عليهم من المعاصى ، و إن سابقة الحسنى لا تقتضى العصمة إلا لرسل الله على نبينا و عليهم الصلاة و السلام ، فهو سبحانه الذى تفضل بالحسنى على من شاء و تولاهم بالعناية و التوفيق و الولاية فى هذا الكون ، و هو الذى قدر الشقاء على من شاء و وكلهم إلى أنفسهم عدلا منه تعالى .

و أول عنايته بالسعداء أن يلهمهم حب العلم و العلماء ، و ينشط أبدانهم بالعمل بما علموا ، ثم يتفضل عليهم برعاية العلم فى العمل ، و بمراقبته سبحانه فى العلم و العمل ، ثم يريهم غيوب آياته فى ملكه و ملكوته ، فيرفعهم

---

(١) سورة آل عمران آية ٣١ .

(٢) سورة الشمس آية ٨ .

سبحانه و تعالى من مقام الإسلام إلى الإيمان ، و من الإيمان إلى الإحسان ، و لديها يعلمهم ما لم يكونوا يعلمون من أسرار النشأتين و علوم الحضرتين .

قال سبحانه : ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ ([1]) .

و قال صلى الله عليه و سلم : " قال الله تعالى :﴿ من عادى لى وليا ، فقد آذانته بالحرب ، و ما تقرب إلى عبدى بشيء أحب إلى مما افترضته عليه ، و لا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، و بصره الذى يبصر به ، و يده التى يبطش بها ، و رجله التى يمشى بها ، و إن سألنى لأعطينه ، و إن استعاذ بى لأعيذنه ، و ما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددى عن قبض نفس عبدى المؤمن ، يكره الموت ، و أنا أكره مساءته﴾([2])

و الشقى شقى و لو ولد من أبوين مسلمين ، و خصل العلم رواية ودارية ،فإنه شقى . و كم من عليم اللسان جهول القلب . فإن العلم هو تصور النفس رسوم المعلوم ، حتى تكون النفس عليمة لأنها محل للعلم ، كما يكون الثوب أبيض أو أسود لأنه محل للسواد أو البياض ، و متى كانت النفس عليمة تحقق الإنسان بخشية الله ، و سارع إلى مغفرة من الله وجنة عرضها السموات و الأرض ، و تخلق بأخلاق الله من الرحمة و الرأفة ، و الحلم و الصبر ، و الشكر و الكرم ، و العفو و التوبة ، و المغفرة ،و الحب فى الله و البغض فى الله ، و الإيثار ، و غيرها من أخلاق الله تعالى ، التى تجعل العبد مع الذين أنعم الله عليهم ، لأنه يكون فى الدنيا بين الله و بين عباده ، قائما مقام الرسل عليهم

([1]) سورة المجادلة آية ١١ .

([2]) حديث قدسى ، رواه البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه .

الصلاة و السلام ، و يوم القيامة مع رسل الله ، قال سبحانه : ﴿ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ ﴾ ([1]) .

و مثل هذا خير للمسلمين من الأمطار ، لأن الأمطار تحيى النبات النافع للأشباح ، و العالم العامل بعلمه يحيى القلوب ، بل و خير من الشمس لأن الشمس تبين بنورها طرق الأرض ، و العالم العامل يبين سبل الله تعالى التى بخفائها على الناس يهلكون جميعا ، لا أقول : يهلكون بالموت ، بل يهلكون بحرمان النجاة يوم القيامة ، و ليس أضر على الأمة من أربعة أنواع : عالم لا يعمل بعمله ، و عالم جهول ، و تارك للعلم و العمل ، و الذى يصد الناس عن العلماء و التقوى .

و فى الموطأ : قال لقمان لابنه : " يا بنى حالس العلماء و زاحمهم بركبتيك ، فإن الله تعالى يحيى القلوب بنور الحكمة كما يحيى الأرض بوابل المطر " و قد فرض الله على عباده أن يتدبروا آياته المتلوة المسموعة ، و آياته المرئية المشهودة فى الكائنات ، ليجمع الله لهم نور حكمته و قدرته فى قلوبهم فيكمل توحيدهم ، و تعظم محبتهم لله تعالى بشهود أنوار القدرة ، و يسارعون إلى العمل بمحاب الله تعالى و مراضيهم ، و المحافظة على اتباع رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ ، بشهود أنوار الحكمة ، و هى دلائل سابقة الحسنى ، و لا أدل على تلك السابقة من المحافظة بدقة على اتباع رسول الله فى السر و العلن ، و فيما هو على المسلم و له .

و أسعد الناس فى الدنيا و الآخرة ، من تحقق أن رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ أولى به من نفسه ، فقهر نفسه و هواه اتباعا لرسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾

([1]) سورة النساء آية ٦٩ .

فى الشدة و الرخاء ، و السر و الجهر ، و ما ترك من الجهل شيئا من أغضب مولاه باتباع هواه .

اتباع رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ به نيل محبة الله للعبد المتبع ، فمن يرضى أن يحرم محبة الله له بمخالفة حبيبه ، حكم على نفسه بالشقاء الأبدى .

الاتباع الذى أراده الله تعالى فى تلك الآية الشريفة ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ (١) و رتب عليها محبته للعبد محسوب فى أصلين عظيمين لا إسلام بدونهما .

١ – تصديقه ﴿ ﷺ وآله﴾ :

أن نصدق رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ ، تصديقا يمحق كل شبهة حتى يقوى الإيمان بخبره عن الله تعالى ، قوة تجعلنا نسلم له ﴿ ﷺ وآله﴾ تسليما لا تشوبه ظلمات شبه نزوع النفس ، و لا ضلالات أباطيل شياطين الإنس ، و لا بهتان أهل الأوهام الظانين بالله ظن السوء ، من مذاهب أهل الملل و النحل الذين يفترون على الله الكذب ، و هم المغضوب عليهم الذين اتخذوا هواهم إلههم من اليهود و الصابئة ، و غيرهم ممن أضلهم الله على علم ، و من مجوس هذه الأمة الذين اتخذوا القرآن مهجورا ، و أضروا المسلمين بآراء أهل الكفر بالله من اليونان و الإنجليز و الفرنسيين و غيرهم من عبيد المادة و الحاكمين على الله بحسهم و أوهامهم .

و لا يعترى هذا التصديق القوى سخافة الضالين الذين قالوا بالحلول و التثليث ، من البوذيين و البوهميين و البابلية و الأشوريين و غيرهم ، ممن عبدوا

---

(١) سورة آل عمران آية ٣١ .

إنسانا قبل موسى و عيسى عليهما الصلاة و السلام ، و قبل الخليل عليه السلام ، و قدسوا معبودهم الإنسان ، حتى قالوا إنه مثلث الأقانيم و سموها الآب و الابن و الروح القدس .

و لا تزال تلك العقيدة و قد انتحلتها النصارى ، فشوهوا بها دين المسيح عليه السلام ، و لا عجب فإن الإنسان دينى بالطبع ، و لا وصول له إلى الحق إلا بما جاءنا به من عند الله تعالى على لسان نبيه ﴿ ﷺ وآله﴾ ، فالعقيدة لا يمكن تحصيلها إلا بتصديق رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ قال الله تعالى :﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (١) قررت تلك الآية الشريفة أنه لا نبى بعد رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ .

و هذا الحكم جزء من عقائد الإيمان ، فلا يكون المسلم مسلما حقا إلا إذا صدق أنه لا نبى بعده ﴿ ﷺ وآله﴾ ، و قد أثبتت الحقائق هذا الحكم ، لأن سنة الله فى خلقه أن يرسل الرسل تترى و قد يرسل كثيرين فى زمان واحد ، بل و فى بلد واحد ، حتى ختمت الرسالة بالحبيب المصطفى ﴿ ﷺ وآله﴾ ، و قد تفضل الله تعالى على الأمة فحفظ فيها و لها أنوار حبيبه خاتم الأنبياء و حفظ لنا أسراره .

قال سبحانه : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (٢) و قال تعالى : ﴿وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ﴾ (٣) .

---

(١) سورة الحزاب آية ٤٠ .

(٢) سورة الحجر آية ٩ .

(٣) سورة آل عمران آية ١٠١ .

و قال جل جلاله : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ﴾([1]) .

و قال ﴿ ﷺ وآله﴾ : " عليكم بسنتي و سنة الخلفاء الراشدين من بعدى " و فى الحديث الشريف : (اللهم ارحم خلفائى)و فى حديث الموطأ : (و اشوقاه لإخوانى الذين لما يأتوا بعد)

هذا و قد أنزل الله تعالى الأمة منازل الأنبياء ، قال سبحانه :﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ﴾ ([2]) و قال سبحانه ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ ([3]) يعنى عدولا تشهدون على الأمم يوم القيامة ، و قال سبحانه : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ ([4]) فرفع الحرج عنا فى الدين لما جعله فى قلوبنا من النور الذى حفظنا به ، فإن الحفظ من الله تعالى بنوره و عنايته ، كما عصم الأنبياء بعنايته و حبه سبحانه .

بينت لك أن الأصل الأول هو تصديق رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ تصديقا مؤيدا باليقين الحق حتى لا تشوبه شبهة ، فإن الشبهة تمحق العقيدة محقا .

و مسلم يصدق رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ فيما جاءنا به من عند الله ، ثم تعترته شبهة ينازع فيها عقله الكاسد ، أو رأيه الفاسد ، أو يدفعه إليها إصغاء

([1]) سورة المائدة آية ٥٤ .

([2]) سورة آل عمران آية ١١٠ .

([3]) سورة البقرة آية ١٤٣ .

([4]) سورة الحج آية ٧٨ .

إلى شيطان الإنس ليس بمسلم ، فأخوف ما يخاف المؤمن على نفسه من رجل مضل يلقى شبهة فى دينه .

٢ – امتثال أوامر الله تعالى :

أما الأصل الثانى فهو امتثال أمر الله ، و إطاعة رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ . و إنما تتحقق الاستقامة ممن كملت عقيدته و طهرت من الشبهة ، فإن أنوار العقيدة تجعل للمؤمن طمأنينة قلب بما وعد الله به ، فيكون كأنه مشاهد للجنة و نعيمها ، و للنار و عذابها ، فيسارع إلى ما يقربه من الجنة و يبعده عن النار ، و إنما تحسن الطاعة و تحلو الاستقامة لعبد حفظه الله من الشهوة ، فإن الشهوة – أعاذنى الله و إياكم – تمحق الاستقامة محقا ، و تجعل العابد يعمل لغير الله .

و كما أن الشبهة مفسدة العقائد ، فكذلك الشهوة مفسدة للعبادات ، و كم من عابد عامل ، و هو إنما يعبد شهوته .

إذن فالأصول : التصديق و العبادة . وآفة التصديق الشبهة ، و آفة العبادة الشهوة ، و المخلصون على خطر عظيم .

و لما كان الإنسان مطالبا بالعبادة الروحانية و الجسمانية ، و العبادة الروحانية هى نتيجة قوة الإدراك و النظر ، و مبدؤها ، التصديق ، ثم قوة الإيمان ، ثم اليقين الحق ، الذى يتفضل الله به على العبد ، بالعرفان و الحب ، و الرهبة و التوكل ، و المراقبة و المشاهدة ، حتى يتجاوز مقامات السالكين ، إلى أن يكون قريبا من الله و الله قريب منه ، متحققا بمعية الله له .

و بعيشك أيها الأخ ما تقول فى مؤمن يرى الله معه حيث كان و كيف كان ؟ لعلك تقول : إنه لا يغفل إذا غفل الناس ، و لا ينسى إذا نسى الناس ،

بل و لا يقع فى أمر يخالف الشريعة ، لأن الإنسان الفاجر يستحى أن يعمل منكرا أمام إنسان نظيره ، فكيف بالحاضر مع الله المشاهد لمعيته .

و قد جهل كثيرون سر الطريق إلى الله تعالى ، فادعوا دعاوى باطلة ، فمنهم من يقول أنا أحب الله ، و هو إنما يحب شهوته ، و مثلهم من يقول إنه عابد ، و هو إنما ينفذ عادته . و ليس المسارع إلى العادة كالقائم بالعبادة ، فصارت العبادة عادة ، و صارت محبة الله طمعا .

و محبة الله شيء آخر ، فإن محبة الله تجعل المحب مقبلا بالكلية على الله ، لا يلتفت و لا إلى الجنة .

فمن ادعى المحبة و رغب فى الدنيا ، فهو كاذب على نفسه ، و العابد حاضر مع الله بعباداته ، مشاهد عظمة و كبرياء المعبود جل جلاله ، و حقارة و ذلة نفسه ، فكيف يخطر على قلبه غير المعبود جل جلاله فى وقت عبادته ؟ فمن ادعى أنه يعبد مع غفلته عن سر العبادة ، فليس بعابد ، و إنما هو عامل لمعتاده .

أما العبادة الجسمانية فإنها الحركات و السكنات و الأقوال ، أو التروك كالصيام ، و كترك كثير من المباحات خوفا من الوقوع فى الشبهات ، و تلك العبادة لا تكون مقبولة إلا إذا كانت مطابقة لما كان عليه رسول الله ، صادرة عن رعاية الله فى عملها ، و مع مشاهدة الروح لحقيقتها ، و لما فيها من الحكمة الموجبة لكمال الخشية و الرهبة ، حتى يكون العابد عاملا بجسمه و روحه على صراط الله المستقيم ، فمن عمل بهواه و رأيه أو تحرك جسمه و غفل بقلبه ، فليس بعابد ، قال تعالى : ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ (١) و قد شرحت لك واردت الصلاة و ما كان عليه السلف الصالح فى حال العبادة فى كتاب "معارج

---

(١) سورة الزمر آية ٣ .

المقربين " فراجعه إن شئت ، و إنما تصح العبادة ممن ذاق حلاوة محبـــة الله ، و صحت إرادته ، و المعتاد عمل العبادة من غير حضور ، يجب عليه أن يتـــدارك نفسه بصحبة العارفين ليذوق شيئا من العلم بالله تعالى و العلم بنفسه .

ثانيا : المجاهدة

المجاهدة واجبة على كل مسلم ، ليحصل التوازن بين الجسم و الروح ، حتى يتجمل بحقيقة العبادة الجامعة للروح و الجسم ، و من أهمل نفســـه مـــن المجاهدة ، تسلطت عليها فطرها ، و قادها الحظ و الهوى ، و قهرها إبلـــيس ، فجعل عبادتها عادة و شهوة ، و جعل محبتها أطماعا و آمالا . و مؤمن يعبد الله ليدخل الجنة عبد غير الله ، فكيف بمن يعبد الله و يسهر و يصوم لينال الدنيا أو ليأخذ من الناس العوائد و الهدايا ؟ ! و سأشرح لك شيئا من المجاهدة بعد هذا الدرس إن شاء الله تعالى مفتتحا بقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ([1]) .

معرفة النفس :

المبتدىء فى طريق آل العزائم ، يغذى بلبان العلم فى طفوليته ، حـــتى تنكشف له حقيقة نفسه الحيوانية ، فيعلم أنه من طين أو ماء مهـــين ، و المـــاء لوالده ، و ما زاد عليه من لحم و دم فلأمه ، بقدرة الله و حسن تدبيره و قوته و كمال تقديره ،و ما زاد على ذلك من حياة و سمع و بصـــر و شـــم و ذوق ،

([1]) سورة العنكبوت آية ٦٩ .

ولمس و عقل و قوة قابلة للعلم و التعلم ، فهو من الله بفضـــله ، ثم ينظـــر فى الكون المحيط به فيرى بعين اليقين أن الله تعالى انفرد بإيجاده بعـــد العـــدم ، و انفرد جل جلاله بإمداده بكل شيء فى نفسه ، و بكل شيء حوله ، فيتحقـــق عدمه لولا الله تعالى ، و يتعين اضطراره إلى الله فى كل نفس ، قال رســـول الله ﴿ﷺ وآله﴾ فى يوم الخندق و هو يحمل التراب على كتفه الشريف :

اللهم لولا أنت ما اهتدينا و لا تصدقنا و لا صلينا
فأنزلن سكينة علينا و ثبت الأقدام إن لاقينا
إن الألى قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا

و المريد فى طريق آل العزائم إنما يتعلم ليعمل بعلمه ، فإذا علم مبـــدأه تغـــذى نهايته ، فتصور البداية و النهاية فى كل أنفاسه بعد تحققه بأن إيجاده و إمداده من الله و بالله ، و أن الله تعالى إنما خلق الإنسان ليعبده سبحانه ، فيذوق انفراد الله تعالى بالوحددانية فى ذاته و أسمائه و صفاته و أفعاله ،فهو الله الخلاق الـــرزاق المحيى المميت الفاعل المختار ، و يميز بهذا العلم ما يشبه إلى نفسه من العمل ، و ما يشاهد أنه من الله جل جلاله ، كما قال سبحانه : ﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّـــا تُمْنُـــونَ * أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ (١) .

عجائب القدرة :

(١) سورة الواقعة آية ٥٨ – ٥٩ .

بينا لك أيها السالك فى طريق الله تعالى أن الله تعالى انفرد بإيجادك من العدم ، و إمدادك بالفضل ، و نسب إليك ما لا يحدث إلا بك فى قوله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ * أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ .

فنسب لك الإمناء ، و أثبت له سبحانه الخلق ، لأنه جل جلاله هو الخلاق .

ثم قال سبحانه : ﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ * أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ (١) فأثبت لك الحراثة لأنها تحتاج إلى محراث و أيد تعمل ، و أثبت له سبحانه و تعالى الزرع لأنه محتاج إلى قدرة الله و حكمته ، لتعلم ما لك و ما له سبحانه .

ثم قال تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاء الَّذِي تَشْرَبُونَ * أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴾ (٢) أثبت وجود الماء سبحانه ، و أثبت لنا الشرب منه ، ثم أثبت لنفسه سبحانه إنزاله من الكون ، و أنه بقدرته جل جلاله ، جعله ماء حلوا عذبا سائغا للشاربين و لم يجعله ملحا أجاجا .

ثم قال سبحانه : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِى تُورُونَ * أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِؤُونَ * نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾ (٣) أثبت سبحانه وجود النار ، و أثبت أننا نوقدها للانتفاع بها ، ثم أثبت لنقسه سبحانه إنشاء شجرتها .

فبين سبحانه تلك الحقلئق التى هى حراثة الأرض و الماء و الشجر و النار و هى أصل كل الخيرات التى لا غنى للإنسان عنها ، فبالنار أيها الإنسان أمكنك أن تصنع طعامك و كل ما تحتاج إليه لبقاء حياتك ، ثم ولدت بها

---

(١) سورة الواقعة آية ٦٣ – ٦٤ .

(٢) سورة الواقعة آية ٦٨ – ٦٩ .

(٣) سورة الواقعة آية ٧١ – ٧٣ .

الكهرباء ، و اخترعت بها ما به طرت فى السماء ، و غصت فى البحار ، و ما دفعت به أعداءك من الأسلحة و غيرها .

كل ذلك بسبب النار ، و قبل معرفة النار كان الإنسان مع الآثار فى حروب مهلكة ،و كم مضى على الإنسان من قرون فى بدايته ، كان فى حرب فادح فيما بينه و بين الآثار الجوية ، ثم بينه و بين الوحوش و الحيوانات المفترسة ، حتى أظهر الله النار التى خزنها له من حرارة الشمس كما بينت لك .

هذا نظر من ذى فكر فيما حولك ، مما هو جلى ، و هو الإمناء و الزرع و الماء و النار ، و كل حقيقة من تلك الحقائق لو فك رمزها عن كنوزه الإلهية ، لارتد البصر خاسئا حسيرا عن فهم ما فيها من الأسرار ، فضلا عن أن يدرك حقائقها من الأنوار ، و هى المحسوسة الملموسة التى لا تفارق الإنسان نفسا ، فكيف لو كشف للإنسان غيوب النفس التى هى نفخة القدس ، و كيف يذوق حلاوة كونها فى الهيكل الإنسانى ، و أنها باتصالها به سجدت له الملائكة ، و سخر له ما فى السموات و ما فى الأرض جميعا منه ، و أقامه ربه مقام الخليفة عنه ، متصرفا فى عوالم ملكه و ملكوته بإذنه سبحانه و تعالى ، ثم يكرمه بعد ذلك فى مقام الأنس على يساط منادته فى مقعد صدق عند مليك مقتدر ، متنعما بشهود جمال ربه ، مبتهجا بجوار الأطهار من المصطفين الأخيار من المجتبين ، أو يقيمه مقام السخط و البعد ، فى جحيم الحسرة و الندامة ، و لهيب الخيبة محروما مما أعده الله له لو أنه سمع و أطاع و قام لله بما استطاع .

و إنما ذكر الله تلك الحقائق الأربعة التى هى الإمناء و الزرع و الماء و النار ، لنعلم أن كل شىء فى الوجود ، خلقه سبحانه لننتفع به ، لأننا عبيد محتاجون إلى فضله العظيم ، و إحسانه العميم ، و متى تحققنا بتلك الحقائق عرفنا

أنفسنا ، لأن أصلنا الماء المهين و هو للوالد ، و الذى خلقه و صوره فى الأرحام هو الله تعالى ، كما أنه سبحانه هو الذى خلق لنا كل شيء ، فالواجب علينا أن نشهد عجائب قدرته ، و غرائب حكمته فى كل شيء ، حتى لا نرى شيئا من الأشياء ، و لا نسمع صوتا و لا نشم رائحة ، و لا نذوق ذواقا ، و لا نحس محسوسا ، إلا و نشاهد فيها على آياته ، و جلى حججه ، و نعلم أنه الذى خلق كل شيء لنا لننتفع بما أبدعه فى الأشياء مما لابد لنا منه فنذكره و لا ننساه ، و نطيعه و لا نعصاه ، و نشكره و لا نكفره ، جل جلاله و تقدست صفاته و أسماؤه .

عليك بالمجاهدة :

إذا فهمت ذلك يا أخى ، فالنفس هى اللطيفة النورانية ، بل الجوهرة الربانية ، بل هى الحقيقة التى هى أمانة الله المشرقة أنوارها فى هيكل الإنسان ، يعرفها من عرف نشأته الأولى ، و تحقق أن أسفل سافلين مفارق لأعلى عليين ، و كيف جمع الله بين أعلى عليين و أسفل سافلين بقهر و اقتدار ، و جعل أسفل سافلين يرتقى حتى يخدم بالملائكة المقربين فى جوار رب العالمين .

أسجد أيها العقل موقنا بقوله تعالى : ﴿وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا ﴾ (١) و جاهد أيها الجسم حتى تحرق زبد العناصر ، و أوقد نار المجاهدة على ما يمكث فى الأرض ايتجرد الجوهر النفيس ، من كدرات الجسم الكثيف ، و تحصلا المجانسة التقريبية ، لأن النفس جوهرة ربانية صافية نورانية ، فإذا صفا الجسم حصل له بالنفس تشبه ، فاتصل بها و اتحد ، و عرف نعمة الله

(١) سورة النحل آية ٧٨ .

عليه و اعتقد ، فعجز عن شكره حيث جعله مشكاة مثالية ، و كونه من أركان الوجود السلفيه و العلوية ، فكان – و هو الجسم الصغير – العالم الكبير ، مراد الله بدءا ، و جاره فى مقعد صدق ختما .

ثالثا : التأدب للوارد

قف عند الوارد فيما غاب عنك ، و تأدب للوارد فى الشهادة ، و الوارد : ما ورد عن الله تعالى و رسوله و أئمة الهدى .

و الغيب غيبان : غيب محجوب بالحظوظ و الأهواء ، و غيب رفع عن الإدراك بالعقول و الأبصار ، عظمة و علوا و قدرا . و من الغيب المحجوب بالحظ و الهوى (القدر) – بفتح الدال – الذى هو سر من أسرار القدرة ، و من أيام الله تعالى و آياته الجلية فى مكوناته ، و منه الحقائق التى وعد بها المؤمنين و التى توعد بها الكافرين .

أما الغيب الذى رفع عظمة و مجدا " فالقدر " – بسكون الدال – لأن القدر – بفتح الدال – غيب ، و لكنه يشهد لمن جعل الله له نورا . كما أن القدرة تشهد بمراتبها ، فقد تشهد بالآيات فى الكائنات ، و قد تشهد بالأنوار فى التجليات ، و قد تشهد فى مقامات القرب . قال تعالى : ﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ (١) .

و قد أشهد الله تعالى الأرواح جماله العلى بدءا ، ثم حجبهم عنه عظمة و علوا و قدرا ، لاجفاء و صدا . فكان شهودهم إياه فى مقام التجريد ، داعيا إلى احتراق قلوبهم شوقا إلى الحميد المجيد ، و كان احتجابهم لطوله و عظمته و رفعته ، موجبا لتحققهم بجمال العبيد ، ليرفعهم إليه قدرا فحجبهم عنه لعلوه ، و فصلهم عنه ليرفعهم بحيه لهم و حبهم له ، بما جملهم به من الصفات المحبوبة له سبحانه ، فهم العبيد المحبوبون للعلى العظيم الحميد المجيد ، يحبهم و ينظر إليهم

---

(١) سورة ق آية ٢٢

، فهم أقرب إليه منهم إلى أنفسهم ، يحبونه سبحانه ، و يشتاقون إليه ، و هو معهم و عندهم حنانا و عطفا ، و بعيد عنهم عظمة و علوا .

هذه مراتب الغيب .. و القائم فيها محصن بالوارد لا يتعداه ، لأن العلم بالله أحرق القلوب بنار الخشية منه سبحانه .

الأدب الوارد فى الشهود :

قدمنا أن الوارد كتاب الله تعالى و سنة رسول الله ، و من كشف الله عنه غطاءه فى الدنيا شهد ، و لكن ما الذى شهد ؟ شهد بدائع إبداع أسرار القدرة ، و سواطع أنوار غيوب الحكمة ، فشهد أسرار حكيم قادر ، فلم تستر أنوار شمس القدرة أضواء الحكمة فيتيه السالك ، قال تعالى : ﴿ وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ (١) و إن كان هذا المقام فيه ارتشاف خمر الحيرة ، و قوى بواعث المحبة ، إلا أن الله سبحانه و تعالى يمنح السالك برزخا يحفظه به من التيه فى أرض الطبع ، أو من تجاوز الأدب بصولة القدرة مع الشرع ، قال تعالى : ﴿ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لا يَبْغِيَانِ ﴾ (٢) .

و البرزخ لأهل التمكين هو الوارد ، و الوارد عرفتك به أنه كتاب الله و سنة رسول الله ، و عند أهل التلوين هو الممد بروح الإلهام من مرشد كامل ، أو وارث عامل ، قال سبحانه : ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا ﴾ بالتسليم للحق و الخضوع لسلطان الشرع ﴿ فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾ حياة القبول ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا ﴾ و هو إلهام فى مقام التمكين ، وفقه فى مقام التلوين و سماع بالتسليم من المرشد أو العالم العامل ﴿ يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ ﴾ محفوظا بعناية الله من الغفلة أو اليأس ﴿كَمَن مَّثَلُهُ فِي

---

(١) سورة الفرقان آية ٦٧ .

(٢) سورة الرحمن آية ٢٠ .

الظُّلُمَاتِ ﴾ جمع الظلمات لكثرة أنواعهامن ظلمة الحس ، و ظلمة الجسم ، و ظلمة النفس الأمارة بالسوء ، و ظلمة الحظ و الهوى و الشح و غيرها ، التى اقتضتها الحقائق التىكون الإنسان منها ، و قوله سبحانه و تعالى : ﴿ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ (١) لأن الحقائق التى فى الإنسان تستحق الدرك الأسفل من النار بنفسها ، إلا إذا سبقت للإنسان الحسنى من الله تعالى فإنه يهديه و يواليه ، و يخرجه من الظلمات إلى النور .

إلزم الوارد و إن شهدت كل المشاهد :

أنت عاجز عن تحصيل ما منحت القدرة على تحصيله إلا بمعونة من الله و عناية . فكيف تحصل الغيب المصون بجهادك و اجتهادك ؟ فالزم حصون الشريعة متأدبا لها ، و إن قربك ربك و ناجاك ، وصرفك فى الملك و الملكوت و والاك ، فإن إحسانه عليك يقتضى شكرك إياه ، ليمنحك المزيد من فضله و جدواه ، و قد صورك بيديه و كنت طينا أو ماء مهينا ، و نفخ فيك من روحه فضلا منه و إحسانا ، و أسجد لك الملائكة تكرمه لك و بك حنانا ، و لم تكن شيئا مذكورا فالزم أعتاب العبودية ، يمنحك خير العطية ، و اعتبر بإبليس الرجيم ، و كان مقربا عليما ، فاغتر بعنصره فارتد مدحورا و لعن مقهورا ، و اعلم أن الورود بالوارد ، و الوصول بالمحافظة على الأصول . و الله يتولانى و إياك ولاية الحبيب لحبيبه ، بجاه حبيبه و مصطفاه ﴿ ﷺ وآله﴾ آمين .

---

(١) سورة الأنعام آية ١٢٢ .

الوارد من أهل الصفا :

الوارد نوعان : وارد من الله سبحانه عليك ، ووارد منك بعناية الله تعالى له سبحانه ، و قد بينت لك الوارد من الله تعالى .

و الوارد من أهل الصفا هو الوارد الذى يشرح الله صدورهم للقيام به ، من التقرب بالنوافل و المسارعة إلى الفرائض و المندوبات ، و أحب ما يقوم به أهل المقامات إلى الله تعالى عمل الفرائض فى أوقاتها ، و الفرائض إما أعمال قلبية كعقود التوحيد ، و مراقبة الله تعالى فى السر و العلن ، و تصريف النوايا و القصود ، و الإخلاص فى العمل ، و الصدق فى المعاملة ، و الخشوع و الخوف و الخشية و الرهبة ، و حسن الظن بالله تعالى ، و سوء الظن بالنفس ، و أعمال الجسم كالصلاة و الصيام و الزكاة و الحج ، و الخلاق الجميلة كالبر و الصة ، و حسن المعاشرة و المعاملة ، و الوفاء بالوعود .

و كل ما أوجبه الشرع الشريف أو اقتضاه الوقت أو الحال و الشأن صار واجبا ، كمجاهدة الأعداء ، و مجاهدة النفس ، قال ﴿ ﷺ وآله﴾ فى الحديث القدسى : " من آذى لى وليا آذنته بالحرب ، و ما تقرب إلى عبدى بشىء أحب إلى من أداء ما افترضت عليه و لا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به و بصره الذى يبصر به ، و لسانه الذى يتكلم به ، و يده التى يبطش به .. " إلى آخر الحديث .

رابعا : الصحبة فى الله

الصحبة لغة : الملازمة ، فمن لازم شيئا فهو مصـــاحبة ، و الصـــحبة تتحقق و لو بالرؤية ، أو المجالسة بشروطها عند الأصوليين .

و الصحبة عند الصوفية : هى طلب الرفيق المعين على الطريـــق ، المـــؤنس فى الغربة المعين فى الكربة ، و من لا صاحب له فهو تائه فى أودية الغواية ، و قـــد جعل رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ المنفرد شيطانا .

الصحبة بالأدب :

السالك يلتمس صاحبا له ليتأدب بآدابه ، إنما دوام الصحبة بالأدب ، قال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ : " أدبنى ربى فأحسن تأديبى " .

الأدب عند الصوفية التشبه بالكمال الروحانى ، بفادح مجاهدة الـــنفس حتى تخرج النفس من عوائدها الحيوانية ، و رذائلها الإبليسية ، فتكون أشـــبه بعالم الملكوت بعد تجردها .

و معلوم أن السعادة فى الدنيا و الآخرة للإنسان متوقفه علـــى الأدب الذى به يجمل حاله و آماله مع الحق و الخلق ، و الأدب عند الناس هو تكلف النفس الأخذ بالمروءة فيما بينهم ، ليكون ذو المروءة سيدا مطاعا فى قومه ، أما الأدب فى الدين فهو كمال التمسك بالسنة تمسكا يجعل الإنسان يراعى أنفاسه ، و الأدب عند أهل المحبة حضور القلب مع الحبوب ، و المســـارعة إلى مـــراد المحبوب ، و تلك المراتب متصلة ببعضها ، فمن لا مروءة له لا يعمل بالسنة ، و من لم يحافظ على السنة لا يتجمل بالمحبة فلا يراقبها ، و المتأدب عظم مقصده ،

و مقصد الرجال فضل الله و رضوانه الأكبر ، و طالب رضوان الله الأكبر يكاد قلبه يذوب إذا وقع فى هفوة ، لأنه مشاهد لمولاه جل جلاله ، أو مـــوقن أن الله يراه لأنه موقن أن الله معه ، و من يرى الله معه كيف يخالف أمره ؟ .

آداب الرجال :

آداب الرجال فى الخلوة و المجتمع ، و فى الأكل و الشرب و النوم ، و فى الحل و السفر ، و مع الوالدين و الأهل و الولد ، و فى المعاملة جميعهـــا ، ورعاية أن الله مطلع على الإنسان ، و حاضر معه حيث كان ، فيجتهد مريـــد الحق سبحانه أن يعمل مع كل إنسان ما يرضى به المطلع عليه الحاضـــر معـــه ، فيخاف الله فى خلقه و لا يخاف الخلق فى الله ، و هو أكمل الأدب ، و قد فصلنا الأدب بإطناب فى كتاب : (موارد الصفا) .

آداب الجلوس مع الإخوان :

السالك فى طريق آل العزائم ، أحرص الناس على أنفاسه أن تنفق إلا فى تحصيل الخير لنفسه ، مسارعا لنيل قصده ، لا يلتفت إلى غيره فى ســـلوكه و سيره .

فإذا جلس مع إخوانه جلس محصلا لا موصلا ، و مكتسبا لا منفقا ، و طالبا لا مطلوبا ، و مجاهدا لأعدائه فيه لا مغرورا مخدوعا ،و مريضا يستشفى لا طبيبا يعالج .

فإذا صال عليه الحق بصولة البيان ، و قهره الحال ، وجب عليه أن يفقد وجوده بوجود شهوده ، حتى إذا ارتفعت صولة الحق ، و رجع إلى الخق ، حفظ مكانته ، و لزم الأدب مع الله بلزوم شريعته ، ولاحظ حضرة الإطلاق ، و خاف على نفسه خوفا ممزوجا بالرجاء .

فإذا شهد وجوده و ظهرت له خصوصيته ، وجب عليه أن يلزم الأعتاب ، و يتجمل بالآداب ، فإن مراد السالك القبول ، و الغيبة عن الخلق بالحضور مع الله تعالى ، فمن غيبة علمه و حاله و بيانه عن الحضور مع الحق ، فعاند أو جادل ، أو اصطفى لنفسه إخوانا ، أو ظن أنه كمل فقام ليكمل غيره ، خلع حلل السلوك ، و حرم السير إلى ملك الملوك ، و هذا هو المرض الإبليسى.

و من لم يتدارك نفسه فى هذا التيه ، بتعاطى الأدوية المرة من يد المرشد أو النصوح المخلص من إخوانه ، رد عن الجناب إلى الأعتاب ، أو إلى رعى الدواب ، نسأل الله السلامة .

أداب السالك مع نفسه :

و السالك فى طريق آل العزائم أشد الناس عناية بنفسه ، و أسرعهم طلبا للشفاء ، قال ﴿ ﷺ وآله﴾ : " من تطبب فقتل فهو ضامن " و سالك ينسى خير نفسه و يصرف أنفاسه فى مخاصمة أخيه ، جرد من معاليه ، و رجع إلى الحظ و الهوى ، فابدأ بنفسك أيها السالك و أدم رعايتها فإنها أعدى عدوك

، قال الله تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا *فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا *وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ ([1]) أسأل الله سبحانه أن يزكى نفوسنا .

دستور الأدب العام لآل العزائم :

السالك فى طريق آل العزائم ، آخذ بالعزيمة ما استطاع ، فإن الرخصة عند مقتضاها تكون عزيمة ، كالتيمم لصلاة ، و قصر الصلاة للمسافر ، و كعمل ما تبيحه الضرورات شرعا .

و السالك فى طريق آل العزائم يجب أن يخرج من عوائده و مألوفاته التى لا تدعو إليها الضرورة الإنسانية ، من الأعمال التى ينوى بها رفع قدره بين الناس ، بنظره إليهم نظرا يحجبه عن الحق ، و بالتزين بالرياش و الزخارف ، و الحرص على شهى الطعام و الشراب إلا ما دعت إليه الضرورة ، حفظ الصحة أو إعادة العافية ، و ترك أهل الغفلة ممن شربوا خمرة الدنيا و الحظ و الهوى فأسكرهم ، و بترك الجدل و مماراة الناس و مولاة غيرالأتقياء ، و لكن يدارى الناس ما استطاع .

و السالك فى طريق آل العزائم يجب أن يكون أحرص الناس على صحته الروحانية ، فيبخل بنفس واحد يصرفه فى غفلة أو أمل الدنيا ، أو حظ نفسانى ، فيعمل فى الدنيا لتكون وسيلة للآخرة ، و يجالس الناس لينتفع منهم ، أو ينفعهم نفعا يدوم أثره يوم لا ينفع مال و لا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

([1]) سورة الشمس آية ٧ – ١٠ .

و السالك فى طريق آل العزائم أحرص الناس محافظة على القيام بما فرض الله تعالى ، لنه يفوز فى صلاته و صيامه و زكاته و حجة بأعظم قصوده ، من مواجهة محبوبة سبحانه ، و الأنس على بساط كرامته ، لأن السالك فى طريقنا إذا جمله الله تعالى بأعلى الأحوال و أسماها ، و أطلق لسانه بالحكمة و فصل الخطاب ، و منحه التصريف المطلق ، لا يخرج عن أدب العبودية لأنه يعتقد أن سجدة واحدة من صلاته يحضر فيها قلبه مع ربه قربا و شهودا خير من خير المقامات ، فكيف يرضى بحال يحجبه عن مقام يحبه الله تعالى ؟ خصوصا و أن تلك الأحوال إنما هى نتائج الإخلاص فى الأعمال .

و عمل يخالف شريعة الله يسلب الاستقامة و التوفيق ، – أعاذنى الله و إخوانى – فكيف بمن خالف أمر الله فيما فرضه ؟ .

و الله إنما يعطى ما عنده لمن أطاعه سبحانه .

و حال تنتجه المعاصى استدراج للهلاك – حفظنا الله و إخواننا – قال تعالى : ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾([1]).

و السالك فى طريق آل العزائم ، يحصل العلوم النافعة للعمل بها ، قال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ : (فَضْلُ ٱلْعِلْمِ أَحَبُّ إِلَىَّ مِنْ فَضْلِ ٱلْعَمَلِ) .

علامة العارفين من آل العزائم :

١ – صغر نفسه فى نظره و إن عظمها الله بين الخلق ، لأنه بالمعرفة عرف نفسه بدءا و نهاية ، فلا يجهل أنه من طين أو ماء مهين ، و لا يشك فى

([1]) سورة القلم آية ٤٤ – ٤٥ .

أن مرجعه إلى الله تعالى ، و أنه يجهل ما شبق له فى القدر ، فهو يخاف من تقدير السوء أولا ، و خاتمة السوء آخرا ، أعاذنى الله و إخوانى .

٢ – أن يستر شهود وجوده بوجود شهوده ، و المشهود إما آيات الله أو نوره سبحانه فى المسوات و الأرض ، أو جماله الجلى فى نفسه ، او مكانه السالك التى بها هو عبد الله تعالى .

٣ – أن ينظر إلى الناس بعين الرحمة و إلى نفسه بعين الخشية ، فيرى الناس جميعا خيرا منه – و إن كانوا عصاة – لأنه لا يدرى بما يختم لهم .

٤ – احتقاره لأعماله – و إن عظمت – لأن مراد آل العزائم القبول لا الإقبال و القبول مجهول ، و كم من مقبل رد قبل الوصول ، و من مجد حرم القبول ، و الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء و الله ذو الفضل العظيم .

أخلاق آل العزائم :

السالك فى طريق آل العزائم فى جهاد أكبر مع حقائقه التى ركب منها ، فيجاهد قواه الجمادية ليكون نشيطا متحركا للخير ، و قواه النباتية ليكون متألما من المعاصى ، مفكرا فيما يحصل به الخير الباقى ، و مجاهدا لقواه الحيوانية ليكون آلفا مألوفا مسارعا إلى منفعة الغير ببذل ما لديه للمستحقين ، و مجاهدا قواه الإبليسية أكبر المجاهدة ، حتى يتطهر من دنس الكبرياء ، و نجاسات العلو بالباطل ، و قاذورات العناد ، و أوساخ الجدل ، و قبيح التفرقة ، و رذائل الظهور ، و خبائث الرياسة ، و ظلمات الشكوك و الريب ، و ضلالات عدواة الإخوان ، و السعى فى مضرتهم ، قال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ : " أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَحَبَّكُمْ إِلَىَّ وَ أَقْرَبَكُمْ مِنِّى مَجَالِسَ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ؟

قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ ٱللَّهِ ، قَالَ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلاَقًا ، ٱلْموَطُئونَ أَكْنَافًا ، ٱلَّـذِينَ يَأْلَفُونَ وَ يُؤْلَفُونَ ، أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَ أَبْعَدَكُمْ مِنِّى مَجَالِسَ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ؟ قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ ٱللَّه ، قَالَ : ٱلثَّرْثَارُونَ ٱلْمُتَفَيْهِقُونَ ٱلَّذِينَ لاَ يَأْلَفُونَ وَ لاَ يُؤْلَفُونَ ، أَلاَ أُخْبِرَكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكُمْ ؟ قَالُوا : بَلَى يَارَسُولَ ٱللَّهِ ، قَـالَ : مَـنْ ضَرَبَ عَبْدَهُ وَ مَنَعَ رِفْدَهُ وَ أَكَلَ وَحْدَهُ " . الحديث .

و قال : ﴿ ﷺ وآله﴾ : (المرء مع من أحب) و دلائل الحب الأخلاق ، فمن أحب الله تخلق بأخلاقه ، و من أحب حقيقة من الحقائق تخلق بأخلاقها ، و شر الأخلاق الأخلاق الإبليسية من الكبر ، و حب الرياسة ، و الحسـد ، و إيثار النفس على الغير ، و الاستئثار بالنافع لضرر الخلق ، و من تخلق بخلق من الأخلاق الإبليسية و أمر بمجاهدة نفسه فغضب ، فليس من فقراء آل العزائم و إن منح أعلى الأحوال ، فإنه لا يلبث إلا و يرتد على الحـق ، أعـاذنى الله و خوانى من التشبه بإبليس .

فقراء آل العزائم :

هم أشبه الناس بالسلف الصالح ، و أساس أخلاقهم قوله ﴿ ﷺ وآله﴾ : (المسلمون متكافئون يسعى بذمتهم أدناهم على أعلاهم و هم يد على مـن سواهم) . فمن رأى نفسه أولى من أخيه بفضيلة أو بمنحة أو بخصوصية وجب عليه التوبة ، و سد منفذ الغرور ، و الاعتذار لإخوانه قولا و عملا ، بأن يرى نفسه أنه ليس أهلا لمكانته ، فيترل إلى خدمة الزواية ، أو يترك التكلم عليهم و التقدم ، و القيام بما خصص له من افتتاح الذكر ، أو المذاكرة ، أو المبايعـة ، حتى يقيمه إخوانه برضاء منهم و صفاء .

و السالك فى دعوة آل العزائم ، إذا بلغه شر عن أخيه زجر المبلغ ، و بين له أن هذا من عمل الشيطان المفرق ، لأن أخى ليس معصوما ، و لم أصحبه على أنه ملك أو نبى و إنى أعتقد أنه خير منى . قال . ﴿ ﷺ وآله﴾ : " دعونى أخرج لأصحابى سليم الصدر " و معنى ذلك : لا تبلغونى عن أصحابى شرا ، و قال ﴿ ﷺ وآله﴾ : " المجالس بالأمانات " و السالك إذا سمع شرا فى الغائب اجتهد فى محو الجفا و تجديد الصفا بين الأخوان ، و فى الحكمة : من نقل عنك ، و ما أوقع فى المكروه إلا من نقل .

و السالكون فى طريق آل العزائم كلهم أطباء رحماء ، يعالجون الأمراض الأخلاقية بالحكمة و الموعظة الحسنة ، فمن نفر أخا من أخ فليس من طريقنا ، و الأخ النافر من أخيه مريض ، لأن السكر فى فم المريض مر ، و المر حلو ، فكذلك الأخ النافر يكون خير الأخوان أمامه شرهم ، و شرهم ممن ينقلون له خيرهم ، و السالك مفارق للفطر المهملة ، و العوائد المهلكة ، و الأخلاق القاطعة .

و السالك فى طريق آل العزائم ، بين حضور مع الله بالمراقبة ، أو تحصيل علم ممن هو أعلم منه ، أو عمل صالح يتقرب به إلى الله تعالى ، أو عمل لتحصيل قوته الضرورى ، و قوت من أوجب الله عليه نفقتهم أو راحة لنفسه من أكل أو شرب أو نوم ، و كل عمل غير هذه الأعمال فهو و بال على السالك .

السالك فى طريق آل العزائم ، يحب الله و رسوله ، و يحب من أحبهم الله ، و من أحبوا الله و رسوله ، و يكره أعداء الله تعالى و رسوله ﴿ ﷺ وآله﴾ و من والاهم و سارع فيهم ، و يمقت أهل المعاصى ، و يجتهد فى رجوعهم إلى

الحق بالتى هى أحسن ، قال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ : " ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ ٱلإِيمَانِ : أَنْ يَكُونَ ٱللَّهُ وَ رُسولَهُ أَحَبَّ إِلَيهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَ أَنْ يُحِبَّ ٱلْمَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ لِلَّهِ ، وَ أَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِى ٱلْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِى ٱلنَّارِ " .

و السالكون فى طريق آل العزائم تحابوا فى الله ، و تـــزارورا فى الله ، و تجالسوا فى الله ، و تباذلوا فى الله ، و هم المبشرون بقولـــه ﴿ ﷺ وآلـــه﴾ : " ٱلْمُتَحَابُّونَ فِى ٱللَّهِ ... إلى أن قال : عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ قُدَّامَ عَـــرْشِ ٱلـــرَّحْمَنِ يَغْبِطُهُمُ ٱلْمَلاَئِكَةُ وَ ٱلأَنْبِيَاءُ لِقُرْبِهِمْ مِنَ ٱللَّهِ تَعَالَى " .

و السالكون فى طريق آل العزائم هم المعنيون بقوله ﴿ ﷺ وآله﴾ مخبرا عن الأمة بقوله : " أولها خير و آخرها خير و بينهما كدر " و هم الذين اشتاق إليهم رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ فى حديث الموطأ فى قوله : " وَ اشَوْقَاهُ إِلَى إِخْوَانِى ٱلَّذِينَ لَمَّا يَأْتُوابَعْدُ " .

و هذه المقامات العلية يجب أن تعطر لمن أحيا الله بهم مناهج الســـلف الصالح ، من التابعين ، و جدد بهم أخلاق الصديقين ، و أقام بهم حجج الله ، و بين بهم ما اختلف فيه الناس من الحق .

و السالكون فى طريق آل العزائم هم أنجم الهدى المحافظون على ســـنة رسول الله ، الممنوحون محبة الله ، المجملون بأحوال الرسل و الأنبيـــاء علـــيهم الصلاة و السلام ، و هم أولياء الله الذين تولاهم الله فى هذا الزمان ، فـــألهمهم الحكمة و فصل الخطاب ، و أقامهم أبدالا للصديقين من أحبابه .

آل العزائم و ما أدرك ما آل العزائم ؟ :

أضرب لك مثلا لهم :

قيل : إنه كان حكيم فى الزمان الماضى ، أطلعه الله على خواص الأشياء جميعها ، فركب دواء من عقاقير كثيرة يشفى به كل الأمراض ، و جعل له الحكيم مقدرا محصوصا ، و زمانا منصوصا ، و نشره بين الناس رحمة بهم و رأفة عليهم لأن الحكيم رءوف رحيم ، و حافظ أصحابه على وصاياه فانتفع العالم أجمع بهذا الدواء ، و شفاهم الله تعالى من كل الأمراض ، و حافظ أصحاب أصحابه على وصايا الحكيم و تقديره ، ثم خلف من عدهم خلف ، فتحت عليهم أبواب الدنيا فتنافسوها كما تنافساها من قبلهم ، فأطاعوا الشح و اتبعوا الهوى ، و أعجب كل واحد منهم برأيه ، فزادوا على تركيب الحيكم الول أجزاء أخرى بتأويلهم ، فجددت الأمراض حتى تناسوا الدواء الذى ركبه الحكيم الأول ، فتفرقوا و اشتغل كل فريق بالآخر ، فمكنوا أعداء الحكيم و خصماء دوائه منهم بسوء عملهم ، حتى ظن أهل الجهالة بالدواء سوءا .

و لكن الله سبحانه الذى علم الحكيم الأول صنع الدواء ، ألهم عبدا من عبيده المخلصين له أسرارا هذا الدواء ، و مقاديره التى تستعمل ، فقام فأعاده إلى أصله و جرده مما زاده عليه الجاهلون ، فظهر نوره و عم الآفاق ، و عاد كما بدأه الحكيم الأول . والحكيم الأول هو رسول الله ، و أصحابه و أصحاب أصحابه من بعده صلوات الله و سلامه عليه و عليهم أجمعين ، كما قال عليه الصلاة و السلام : " خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم " الحديث .

و قد قدر الله تعالى أن يحفظ دينه ، و يقيم فى كل قـــرن مـــن يجـــدد للمسلمين أمر دينهم ، و نحن الآن فى أشد الحاجة إلى أن يمنح الله المسلمين مـــن يجدد لهم أمر دينهم و يعيد لهم صحتهم الورحانية .

و قال رضى الله عنه :

أَهْلُ ٱلْعَزَائِمِ جُمِّلُوا بِٱلْحَالِ
كَشْفٌ وَ عِرْفَانٌ وَ خَيْرَ وِ صَالِ
أَرْوَاحَهُمْ سَبَحَتْ بِمَلَكُوتِ ٱلسَّمَا
وَ هَيَاكِلُ ٱلأَبْدَالِ فِى ٱلأَعْمَالِ
أَهْلُ ٱلْعَزَائِمِ شَوْقُهُمْ لِوَلِيِّهِمْ
خُصُّوا بِنَيْلِ ٱلْحُبِّ وَ ٱلإِقْبَالِ
فِى ٱللَّيْلِ أَمْلاَكٌ حَنِينٌ مُحْرِقُ
وَ نَهَارَهُمْ فِى خَشْيَةِ ٱلْمُتَعَالِى
أَهْلُ ٱلْعَزَائِمِ جُمِّلُوا بِصِفَاتِ مَنْ
أَحْيَا ٱلْوُجُودَ بِنُورِهِ ٱلْمُتَلاَلِى
أَهْلُ ٱلْعَزَائِمِ أَنْجُمٌ قَد أَشْرَقَتْ
لِلإِقْتِدَاءِ بِالْحَالِ وَ ٱلأَقْوَالِ
أَهْلُ ٱلْعَزَائِمِ هُمْ شُمُوسٌ نُورُهَا
فِى عَالَمِ ٱلْمَلَكُوتِ سِرٌّ عَالِى
أَهْلُ ٱلْعَزَائِمِ لِلْحَبِيبِ مُحَمَّدٍ
هُمْ صُورَةُ ٱلأَنْوَارِ وَ ٱلإِجْلاَلِ
فِى ٱلْجَمْعِ أَمْلاَكٌ يَلُوحُ ضِيَاؤُهُمْ

فِى ٱلْفَرْقِ وُرَّاثٌ عَنِ ٱلأَبْدَالِ

كَمْ جَاهِلٍ مَلأَ ٱلْوُجُودَ بِعِلْمِهِ

كَمْ مُبْعَدٍ أَدْنُوهُ بِٱلأَحْوَالِ

أَهْلُ ٱلْعَزَائِمِ سَادَةٌ وَ أَئِمَّةٌ

لاَحَ ٱلضِّيَا مِنْهُمْ لِكُلِّ مُوَالِ

كَمْ نَاطِقٍ مِنْهُمْ بِغَامِضِ حِكْمَةٍ

شَرِبَ ٱلطُّهُورَ مِنَ ٱلْوَلِىِّ ٱلْوَالِى

و قال رضى الله عنه :

أَهْلُ ٱلْعَزَائِمِ مِنْ (أَلَسْتُ) لَهُمْ هُيَام

وَ ٱلْمُصْطَفَى ٱلْهَادِى ٱلْبَشِيرُ لَهُمْ إِمَامْ

أَحْوَالَهُمْ نَبَوِيَّةٌ وَ صِفَاتُهُمْ

مِنْ مُحْكَمِ ٱلْقُرْآنِ قَدْ شَرِبُوا ٱلْمُدَامْ

هُمْ أَنْجُمٌ فِى أُفْقِ طَهَ أَشْرَقَتْ

وَ ٱللَّهُ مَقْصِدِهُمْ إِذَا سَمِعُوا ٱلسَّلاَمْ

أَهْلُ ٱلْعَزَائِمِ شَاهَدُوا مَحْبُوبَهُمْ

مِنْ قَبْلِ كُنْ يَعْلُوهُمُ هَذَا ٱلْغَرَامْ

لَمْ تَشْغَلَنْ صَغِيرَهُمْ جَنَّاتُهُ

وَ ٱلْمَقْصِدُ ٱلرَّبُّ ٱلْعَلِىُّ وَ لاَ كَلاَمْ

أَهْلُ ٱلْعَزَائِمِ صُورَةٌ رَوحِيَّةٌ

قَدْ فَارَقُوا ٱلْجَنَّاتِ بَلْ أَعْلَى مَقَامْ

أَهْلُ ٱلْعَزَائِمِ نَفْخَةٌ مِنْ رَوْحِهِ

بدْءُ ٱلرِّجَالِ حَبِيبُهُمْ وَ هَو ٱلْخِتَامْ

أَهْلُ ٱلْعَزَائِمِ شغْلُهُمْ بِحَبِيبِهِمْ

صَحَّ ٱجْتَبَاؤُهُمْ فَخُصُّوا بِالسَّلَامْ

صُوَرُ ٱلْحَبِيبِ مُحَمَّدٍ مُثُلٌ لَهُ

وَ هم ٱلْمَرَائِى لِلنَّبِىِّ بِالاحْتِرَامْ

أَهْلُ ٱلْعَزَائِمِ أَنْجُمٌ تُبْدِى ٱلضِّيَا

لِلسَّالِكِينَ بِنُورِهِمْ يَمْحَى ٱلظَّلَامْ

خُصُّوا بِحِكْمَةِ رَبِّهِمْ وَ بُحِّبِه

و بِحِفْظِهِمْ لِنَبِيِّهِمْ بَلَغُوا ٱلْمَرَامْ

أَهْلُ ٱلْعَزَائِمِ فِى ٱلْمَعِيَّةِ جُمِّلُوا

بِالْفَضْلِ وَ ٱلرِّضْوَانِ فِى طُولِ ٱلدَّوَامْ

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة الشفاء [1]

الحمد لله الهادى من أحبه للصراط المستقيم ، غافر الـــذنب و قابـــل التوب شديد العقاب ، القريب ممن تقرب إليه بالسمع و الطاعة لرسوله ﴿ ﷺ وآله﴾ ، المجيب لمن استجاب له سبحانه بالعمل بسنة رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ ، الذى قدر الذنوب و قدر التوبة ، و أنزل التوابين منزلة أهل محبتـــه ، فكـــان تقدسر الذنوب على المؤمنين الذين سبقت لهم الحسنى سببا فى رفعة مقامهم عند الله تعالى ، و علو منزلتهم لديه سبحانه ، قال جل جلاله : ﴿ إِنَّ اللّهَ يُحِـــبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [2] . و التواب هو المذنب الذى رجع بالإخلاص إلى الله تعالى ، و المتطهر هو المتنجس الذى تطهر من حظه و هـــواه و رأيـــه ، مفردا قصده متجردا بحول الله و قوته مما يحجبه عن شهود جمال الله تعـــالى ، و كفى بأهل الذنوب التأبين منها شر فا أن الله تعالى يحبهم ، لأن أعلى مقامـــات السالكين محبة الله إياهم . و الصلاة و السلام على الحريص على العالم أجمـــع الرءوف الرحيم بالمؤنين ، من هو أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، سيدنا و مولانـــا محمد و آله .

و بعد ، فمن خديم الفقراء محمد ماضى أبى العزائم لأحبـــابى فى الله و رسوله ، و إخوانى فى الأخذ بالعزائم بقدر الاستطاعة ، و أولادى فى مجاهـــدة

([1]) رسالة كتبها الإمام رضه الله عنه فى سنة ١٣٣٤ هـــ لإخواننا فى الفيوم و صعيد مصر لإعادة صحتهم الروحانية .

([2]) سورة البقرة آية ٢٢٢ .

النفس و تطهيرها من نزوعها إلى البدع المضلة ، و ميولها إلى فطرها المهملة ، أيدنى الله و إياهم بروح منه ، و امدنا بروحانية رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ .

السلام على أهل الوفا و الصفا ، من أبنائى المخلصين فى عبادة الله ، الصادقين فى معاملة الله ، القائمين شهداء لله و لو على أنفسهم ، أدام الله لنا الاستقامة و الكرامة و العناية ، أنه مجيب الدعاء .

إعلموا إخوانى – أيدنى الله و إياكم بروحانية رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ – إن السالك فى طريق الله تعالى له مائة منزلة ، لكل منزلة ثلاثة مقامات ، و لكل منزلة من تلك المنازل علوم و ذوق و كشف و شهود ، و وجود و فناء و بقاء ، و قد جمعتها فى رسالة خاصة تطبع قريبا بمشيئة الله تعالى ، و لما كانت تلك المنازل ، لا ينزلها السالك إلا بالمرشد المعلم ، العالم الربانى ، الوارث المحمدى ، الحى بالله بعد الموت بالفناء فيه سبحانه ، القائم بالله لله ، العمال بظاهر الشريعة و باطنها ، الممثل لحضرة رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ أكمل تمثيل ، الممنوح روحانية رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ ، لأن الله جل جلاله ، لم يشأ أن يجعل مخلوقا يتصف بصفة من صفاته بذاته ، بل بتعليم من غيره ، و لذلك فقد جعل للملائكة معلما و هو آدم ، و جعل للرسل معلما و هو جبريل ، و جعل للسالكين معلما بعد رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ ، و هو المرشد الحى بالله القائم بالله لله ، الدال على الله الحى القيوم جل جلاله .

و لما كانت تلك المنازل ، لا يحصل فيها الأمن و الهداية للسالك ، إلا بعد أن يحل فى كل منزلة حتى يتمها ، و لديها يكون ممن قال الله تعالى فيهم : ﴿ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ (١) لأنه آمن إيمانا لم يلبس إيمانه بشرك ، و

(١) سورة الأنعام آية ٨٢ .

لأنه قبل أن يحل فى تلك المنازل يكون إيمانه ممزوجا بشرك ، و كم من ولى ورع زاهد عابد و هو مشرك ، إلا أنه يخفى عليه شركة .

و إنما صحبة المرشد للتجريد من هذا الشـــرك الظـــاهر أو الخفـــى و الأخفى ، فإن فرعون قال : أنا ربكم الأعلى ، للمصريين ، و هذا العابد الزاهد قد يرى عباداته تنفعه ، أو يرى أنه فعل العبادة – غير ملاحظ التوحيد الخالص من غير شوب– أو يظن أنه نفع المريدين بحاله و علمه و كراماته ، أو يعتقد أنه قام بعمل لرسول الله و لله ، أو يقصد بعمله غير وجه الله العظيم ، و كل ذلك فى طريقنا من الشرك ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ (١) .

و لما كانت أمراض النفوس لا تحصى و لا تحصر ، كان من الواجـــب على السالك أن يكون كالميت بين يدى الأستاذ حتى يحيا ، فإذا أحـــيى كـــان كالطفل فى حضانة الأستاذ حتى يشب ، فإذا صار شابا كان ولدا للأستاذ ، فإذا بلغ سن الصبا كان للأستاذ خادما أو وزيرا ، حتى يبلغ أشده ، فإذا بلغ أشده منح أمانته ، فشكر الله تعالى على ما وهبه من النعم ، و شكر الأستاذ على مـــا أحراه الله له على يده ، و هذا الشكر فريضة فرضها الله تعالى ، قال الله تعالى : ﴿ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾ (٢) و لزمه أن يتـــأدب للأســـتاذ ، فينسب إليه تربيته و علومه و أسراره و احواله أدبا مع رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ ، و لا يدلس ، فإن من دلس فى طريقنا كفر.

و التدليس فى الرطيق كبر الواصل إلى الله عن أن ينســـب فضـــل الله الواصل إليع على يد الأستاذ الذى أجراه الله له على يديه ، كما تنسب الحرارة

---

(١) سورة يوسف آية ١٠٦ .

(٢) سورة لقمان آية ١٤ .

و الضوء إلى الشمس ، و من تكبر على الشمس و أغمض عينيه و قال أنا أمشى من غير نور الشمس ، هوى فى هاوية الكبر ، أعوذ بالله .

لا تظن أن رجلا صحب رجلا ، و رأى مرشدا كاملا دالا على الله فتبعه قد أساء ، و لكنه أحسن إلى نفسه ، و لكن الإساءة أن يصحب المرشد الكامل فيتزله فى أول متزلة من منازل الطريق فيذوق بها حلاوة الإقبال ، و لذة التوبة ، و بهجة العمل الصالح ، و الأنس بذكر الله ، و الغيرة لله بالقول و العمل و البذل لله ، فيتجمل بحال التوابين و مقام النبيين ، فيغتر بما تفضل الله عليه على يد المرشد ، و خصوصا إذا أطلق الله لسانه بفضائل المرشد و محاسنه ، مواهب الله التى تفضل بها سبحانه عليه ، فيقبل الله عليه بوجوه الخلق ، فيظن المسكين أنه اتصل و وصل ، فيقبل على الناس و يلتفت عن المرشد ، جاهلا بطريق الله ، و هى أول عقبة فى طريقنا سعد – و الله – من اقتحمها ، و أول غل فى عنق السالك ، فاز – و الله – من فك رقبته منه . قال الله تعالى : ﴿ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ ﴾ (١) .

و لما كان علاج تلك الأمراض هو كعلاج الأجسام ، إما يتعاطى الأدوية المرة الحريفة ، أو بترك الأطعمة اللذيذ المألوفة ، فكذلك علاج تلك الأمراض يجب أن يكون بتكليف المريد بأعمال شاقة مؤلمة ، و يجريده من حظوظ و شهوات مرغوب فيها ، فإذا أبى المريض أن يتعاطى الأدوية المرة و يترك الأطعمة الشهية اللذيذة هلك ، و كذلك السالك إذا تكبر أن يقوم بالأعمال التى يأمر بها المرشد ، و تكبر عن ترك عوائده و حظوظه التى ينهاه عنها المرشد هلك ، و لا يضر إلا نفسه .

---

(١) سورة البلد آية ١١ – ١٣ .

لذلك أحببت أن أبين لإخوانى – عصمنى الله و إياهم من الـــتروع إلى الحظ الوبى ، و الشرك الخفى ، و الظلم الجلى – و أبين لهم أن كل خير نالوه و كل فضل أوتوه ، و كل نعمة و صلت إليهم ، هى و لا شك بتقدير من الله و فضله ، إلا أن الله جل جلاله و تقدست صفاته ، لا يدركه جل جلاله إلا هو ، و كل من سواه يرى آياته سبحانه فى غيره .

فمن الشرك الخفى و الكفر الجلى أن يكفر المرء برسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ ، كما فعل أهل الغواية فقالوا : ما وجدناه فى كتاب الله عملنا به و ما لم نجده فى كتاب الله تركناه ، كبرا على رسول الله ، و قد أعطى الله رسوله القرآن و أكثر مـــن القرآن ، و فرض سبحانه علينا طاعته و طاعة و رسوله ، فطاعتـــه ســـبحانه و تعالى فيما أنزل فى كتابه ، و طاعة رسوله فيما سنة ﴿ ﷺ وآله﴾ بنا .

و تلك النفوس – نعوذ بالله منها – تصحب الرجل لعلة خفية ، و حظ خفى ، فإذا نالت غايتها ألفتت الناس إليها ، و سعت فى تنقيص المرشد ، و هذه النفوس تفعل كذلك مع رسول الله ، فتترك سنته ﴿ ﷺ وآله﴾ و تعمل برأيها ، و تعمل ذلك مع الله ، فتترك أحكامه و تعمل بما يوافق حظها ، و كـــم مـــن مفارق الكتاب و السنة و له شيعة يعتقدون أنه أكبر أولياء الله ، و هو يعلم حق العلم أنه ما عمل هذا العمل إلا للذته و حظه ، أعاذنا الله من مرض لا يعتنى من قام به بمعالجته حتى يهلكه .

لذلك كله أحببت أن أنبه إخوانى إلى المسارعة إلى الطبيب الروحانى ، عند الشعور بأعراض المرض خوفا من الهلاك الأكبر أعاذنى الله و إياهم من الفتن المضلة و الأهواء المضلة ، و كم أهلك إبليس اللعين رجالا افتتحوا سيرهم بالإخلاص و الصدق.

و اعلموا يا إخوانى أن السالك يجب عليه أن يجتهد فى تفريد قصده حتى لا يقصد غير الله تعالى ، فقد يبتدى سيره بالإخلاص موحدا قصده ، فيكون المرشد قصده فى بدايته ، ليوصله إلى الله تعالى و يبين له طريق الوصول إليه ، و يوضح له سنن رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ ، و يناوله من شراب المحبة أرواه و من العلوم أنفعها ، و من الحوال أعلاها ، و من الشوق إلى الله أصفاه ، فينزله فى أعلى مراتب قلبه كما قال السالك لأستاذة :

أحبك حبا لو يفض يسيره
على الناس مات الناس من شدة الحب
و ما أنا موف بالذى أنت أهله
لأنك فى أعلى المراتب من قلبى

و كما قال ابن حمدون لإمامه سيف الدولة :

فليت الذى بينى و بينك عامر
وبيني وبين العالمين خراب
و ليتك تحلو و الحياة مريرة
و ليتك ترضى و الأنام غضاب
إذا صح منك الوصل فالكل هين
و كل الذى فوق التراب تراب

و لا عجب ، فإن المرشد فى عين السالك كدليل لسائر فى صحراء ، لا نجاة له من هولها إلا بالسمع و الطاعة له .

و السالك يهلك إن لم يتعود على السمع و الطاعة للمرشد ، من بدايته إلى نهايته ، فى الرخاء و الشدة ، و الكسل و النشاط ، و ما علم و ما لم

يعلم ، ما دام المرشد عاملا بكتاب الله و بسنة رسول الله حالا و مقالا ، فإذا رأى منه ما يجهل حكمته ، أسرع إلى المرشد فعرض ما ورد عليه ليبين له ما يطمئن به قلبه ، فإن للطريق غوامض أسرار تخفى على كبار العلماء ، بل و على أكمل المريدين .

فإذا خطر على قلب سالك خاطر و أخفاه عن المرشد دل على مرض نفسه ، و هى النكتة السوداء التى ينكتها إبليس عليه لعنة الله . و كيف يقتدى السالك بإمام يبلغ حبه فيه مبلغا حتى يفرده بالقصد لنيل سعادته الدائمة ، و ياتفت عنه لوراد أو لخاطر قد يكون من إبليس ؟ هذه الأمراض تعترى أهل البعد عن الله تعالى الذين لم يقدر الله لهم الحسنى السابقة .

و يشبه هذا المرض مرض آخر ، يكون مقصد السالك تحصيل ما به يكون شهيرا ميسرا له رزقه ، معظما بين الناس ، فإذا بلغ قصده تحقق بالمرشد جحده ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا نَقَمُواْ إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ (١) أعاذنى الله و إياكم من الخلط فى القصد .

و يشبه هذا المرض آخر – و هو أنكى الأمراض و أشدها على السالك – و هو أن يأنس السالك بنفسه فيرى أنه منح لسانا تصغى إليه الآذان ، و ذرقا تميل إليه الأجسام ، فيكره بحالته المرشد و مداناته لنه يميل إلى احترام الناس له و تعظيمه ، و يبعد من عرفه عن المرشد ليدوم له الاحترام – و هذا دليل على خبث النفس و نجاساتها – أو يبعدهم عنه لأنه أفسد عليهم عقائدهم بما بينه لهم من الضلالات ، ليتمكن من أموالهم و من أعراضهم .

---

(١) سورة التوبة آية ٧٤ .

و من ذلك ما حصل من بعض أهل الضلال فى بيان مترلة الفناء – التى وضحناها فى باب اصطلاح الرجال – فيقول لهم : إن الفناء شهود الأشياء أنها كلها فعل الله ، و الفعل صفة الفاعل . و هو صريح الكفر .

و الأشياء مفعول بفعل الله ، و مقهورة بقهر الله ، و الفعل غير المفعول ، و كيف يكون الكون فعل الله تتره ، و هو حادث أبدعه و أوجده بعد أن لم يكن ، فالكون كله مخلوق لله تعالى ، مقهور به ، مربوب له سبحانه .

أو يقول لهم : إن الفناء الغيرة على الله من أن يكون الإنسان له عمل أو وجود أو ملك مع الله تعالى .

و الغيرة على الله تعالى ضلال ، لأنه لا يغار الإنسان إلا على من يخاف عليه من ضرر غيره ، و هو سبحانه قهار قادر ، إنما يغار له سبحانه أن يعصى ، و أهل الضلال لجهلهم يغارون عليه سبحانه فيقعون فى الكفر ، أعوذ بالله تعالى.

فإذا تمكن من قلوب الجهال فيقول لهم : من صلى أو صام أو تقيد بقيود الشريعة أثبت له وجودا و عملا مع الله تعالى :

و هذا كفر بالطريق ، فيتركون العمل بالشريعة ، و إذا قبلوا مسلمين له قال لهم : فكوا قيود الشريعة فى التحريم و التحليل ، و التمليك و التكليف.

و هى الغاية التى يرمون إليها ، و لديها ينال كل أغراضه من التصرف فى الأموال و الأعراض كما يحب ، و هؤلاء هم ضلال الأمة كما قال سيدنا ابن مسعود رضى الله عنه : " خط لنا رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ خطا ثم قال : هذا سبيل الله ، ثم خط خطوطا عن يمينه و عن شماله و قال : هذه سبل ، على

كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ، ثم قرأ : " وَ أَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَ لاَ تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ " ([1]) .

كل تلك البلايا يبتدعها الضلال ، ليتمكنوا من رفع ستر الله عن العرض و المال ، و يستندون فى تلك الأباطيل إلى إشارات أهل العرفان ، الذين علمهم الله ما شاء ، و كاشفهم بما شاء من غوامض أسراره ، قال الله تعالى مشنعا على هؤلاء القوم : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ ﴾ ([2]) و قال جل جلاله مثنيا على أهل العلم بقوله : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ ([3]) .

أما الفناء فقد بينت علومه و أسراره بيانا شافيا فى كتاب (اصطلاح الرجال) و هنا أكشف لكم بعض سره . الفناء : هو تجريد عن لوزام البشرية ، و مقتضيات الآدمية و نوازع الإبليسية ، و ميول النباتية ، و دواعى الجمادية ، مسارعة إلى الزهد فى الدنيا ، و المجاهدة لتلك النفوس بتحمل فادح الآلام صبرا و عزيمة ، تشبها بالعلم الروحانى ، اقتداء برسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ ، و بأئمة الهدى ، حتى يكون ممن أثنى الله عليهم بقوله :﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ *

([1]) سورة الأنعام آية ١٥٣ .

([2]) سورة آل عمران آية ٧ .

([3]) سورة آل عمران آية ٧ .

وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (١) و ممن مدحهم الله تعالى بقوله : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾ (٢) من الخشوع فى الصلاة ، و إعراضهم عن اللغو ، و المسارعة إلى تزكية النفس و حفظ الفرج ، و رعاية الأمانة و العهد ، و المحافظة على الصلوات فى الأية الأولى ، و من الشدة على اعداء الله و الحمة بالإخوان ، و دوام الركوع و السجود ابتغاء فضل الله و رضوانه ، و صبغة الله التى تظهر الخشوع على الوجه ، إلى آخر معانى الآية الثانية .

بذلك يكون السالك فانيا حقا – عمن و عم و فيمن – عن نفسه التى تدعوه إلى الشرور ، و عن أكثر ضروریاته وكماليته ، و فيمن : فى رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ ، تشبها بأكمل المعانى المحمدية ، و فى الله تفريدا له سبحانه بالأولوهية و الربوبية ، و أما الفناء عن الكمالات المحمدية و عن تنزيه الإله فى الأولهية و الربوبية ، إلى الرذائل الإبليسية و الإباحة البهيمية ، و القبائح البشرية و الحظوظ الآدمية حتى يخلد إلى الأرض – و هو مطالب بأن يشهد ملكوت السموات و الأرض – هذا ليس فناء عندهم ، و لكنه بلاء على من يحرفون الكلم عن مواضعه ن رضاء بالحياة الدنيا و اطمئنانا بها . و الله تعالى أسأل أن يمنحنى و إخوانى المسلمين جميعا التوبة و الإنابة إلى الحق ، فإنه هو التواب الرحيم و يحب سبحانه التوابين .

---

(١) سورة المؤمنون آية ١ – ١١ .

(٢) سورة الفتح آية ٢٩ .

العناية و المحبة :

العناية أزلا ، بها نيل الولاية أبدا ، و إلا فمن آدم فى البداية ؟ و مـــن إبليس فى النهاية ؟ و قد فعل آدم ما نهاه عنه مولاه ، و خالف إبليس أمر الله ، فتاب على آدم و اجتابه ، لعن إبليس و أقصاه ، و من سبقت له منه ســـبحانه الحسنى فقه عن الله المعنى ، فاسألوا الله العناية ليمنحكم الولاية .

قال رضى الله عنه و أرضاه :

تلك المحبة توجب التقريبا
و المصطلى نارا غدا محبوبا
و الحب من بدء به البدء الذى
رقى مرادا مفردا محبوبا
و هى العناية من لدن بدء إلى
أن يرتقى فيناول المشروبا
أهل الصفا بدءا لقد بلغوا الرضا
صار الجديد لديهم مسلوبا
بالعين عين الروح قد شهدوا الضيا
صار السوى عن روحهم محجوبا
بدءا سقاهم ربهم بالعين فى
قدس التراهة راحة المنسوبا
راح التقرب بالجميل لحظوة
فيها لقد نالوا الصفا تقريبا

فيها أعادهم المعيد لبدئهم

وجه الجميل يرى لديه مهيبا

فى الفصل قد ثبت الوجود لهم به

بعد الجهاد أنالهم ترغيبا

من قبل كن كانوا جمال تنزل

و القدر كان مقدسا و مغيبا

الباب الثالث

السنة و الإجماع و الرأى و أسهم الإسلام

السنة

هى قول رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ و عمله وتقريره فكل أعمال الصحابة وأقوالهم و التى سمعها منهم ورآها أو بلغته عنهم و لم ينكر عليها ، فهى تقريره و هى سنته ﴿ ﷺ وآله﴾ ، و قد أكرمنا الله تعالى و حفظ لنا أعماله و أقواله ، و أحواله و شمائله ، و سيرة و سيرته ﴿ ﷺ وآله﴾ فى جميع الشئون ، بل و حفظ لنا ما رآه و سمعه أو بلغه عن أصحابه ﴿ ﷺ وآله﴾ و لم ينكر عليه ، و حفظ كل ذلك فى مسانيد و مجاميع صحاح ، قام بتدوينها أمناء الله و حملة شريعته و رواها الخلف عن السلف ، حتى وصلت إلينا مضبوطة مبينة ، بيانا يدركه الغبى و الذكى ، جزى الله الأئمة الثقات عنا خير الجزاء ، فلم يبق من عذر لتارك التعليم ، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

و ليس العالم من حصل من العلم كمقادير الجبال ، إنما العالم من عمل بعلمه ، و لو تعلم مسألة واحدة . و إن العلم يحصل للعمل به ،لا للرفعة و العلو فى الأرض بغير الحق ، أو للمماراة و الجدل ، أو للتوسط إلى الأمراء و الملوك ، و من حصل العلم ليجعله وسيلة للغرض الفانى ، سجل على نفسه الشقاء فى الدنيا و الاخرة ، و شر الناس عليم اللسان جهول القلب الذى

---

(١) سورة الزمر آية ٩ .

يطلب الدنيا بعمل الآخرة ، كالعباد الجهلاء الذين يتجملون للعامة بكثرة العبادة ليفسدوا عليهم عقائدهم ، و ليسلبوا منهم أموالهم .

و العلم الحقيقى هو العلم بالله، و بأيام الله ، و علم المسلم بنفسه ، و علم ما يجب عليه فى الوقت عمله ، و علم حكمة ما يعقل من أحكام الله ، حتى لا يضيع الوقت فى تحصيل ما لا يجب عليه فى الوقت .

فالسنة فى اللغة:الطرق ،و فى الشرع : ما ورد عن رسول الله﴿ ﷺ وآله﴾ غير القرآن من قول أو فعل أو تقرير ، فكل أقواله و أعماله ﴿ ﷺ وآله﴾ سنة ، و كل أقوال الصحابة وأعمالهم التى حصلت بين يديه أو سمع بها و سكت فلم ينه عنها سنة .

الإجماع

اتفاق أهل الحل و العقد من الموثوق بهم من هذه الأمة على أمر من الأمور الشرعية أو العقلية أو العادية .

الرأى

هو استفراغ الوسع فى علم الحادثة حتى يطمئن القلب للحكم عليها .

أسهم الإسلام

قال ﴿ ﷺ وآله﴾ : " لا نبى بعدى ، و لا أمة بعـــدكم ، فاعبـــدوا الله ربكم ، و صلوا خمسكم ، وصوموا شهركم ، و حجوا بيـــت ربكـــم ، وأدوا زكاة أموالكم طيبة بهاأنفسكم " .

فأسهم الإسلام ثمانية :

١ – الشهادتان .
٢– الصلاة .
٣ – الصيام .
٤ – الزكاة .
٥ – الحج .
٦ – العمرة .
٧ – الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر .
٨ – الجهاد .

و قد وفيت الكلام عن الخمسة الأولى فى كتاب : " أصول الوصول " و " و معارج المقربين " و فى كتاب : " الإسلام دين الله " .

الصلاة

حكمة وسائل الصلاة:

إنما أوجبت الشريعة طهارة الجسم و الثوب و المكان قبل الـــدخول فى الصلاة ، ليشعر القلب بأنه يتأهل للدخول فى حضرة الله تعـــالى ، ليقـــوم لـــه سبحانه بما فرضه عليه من العمل شكرا على ما لا يحصى من النعم ، و القلـــب محل نظر الرب سبحانه فيجدد طهارته ، و تجديد من شوائب الشرك الظاهر و الخفى و الظلم و الحسد ، و الطمع و الحرص ، العلل و الأغراض التى تجعـــل القلب بعيدا عن الله تعالى ، محروما من فضل المواجهة ، و لا يكون ذلـــك إلا

بالتوبة الخالصة قبل الدخول فى الصلاة ، قال ﴿ ﷺ وآله﴾ : " المصلى يناجى ربه " .

حكمة طهارة الجوارح :

كما أنه يطهر جوارحه بالماء ، فإنه يراعى أن الجوارح ليست منجسة نجاسة حسية ، فيتذكر نجاسات تلك الجوارح العملية ، فيغسل العضو بالماء ، و يغسله بالتوبة و الأوبة ، و الخوف من الله تعالى و الحياء منه سبحانه ، لأنه استعمل نعمة الله فيما يغضبه ، و هى الجوارح ، و فى تلك الرعاية يعتقد عجزه عن حفظ جوارحه من المعصية ، و يتناول طهور لا حول و لا قوة إلا بالله ، و يشكر الله الذى وفقه للطهور أو الغسل و يجعله طهارة لقلبه و قالبه .

معنى طهارة الثوب :

أما طهارة الثوب فإنها بالماء و بغيرة ، و قد بين الفقهاء طهارته بالماء . أما طهارته بغير الماء : بأن يكون لبسه لغير رياء أو كبر و خيلاء و علو فى الأرض بغير الحق ، و بأن يكون تحصل عليه من جهة شرعية تبيح له استعماله ، و بأن يكون أدى حق شكر الله عليه فرحا بفضل الله و برحمته و نعماه ، و أن يكون من نوع مباح ، غير متجاوز الكعبين ، و لا الكوعين ، و بعد وفاء الأجير أجرته ، هذه هى طهارة الثوب يكون المصلى برعايتها صلى صلاة تنهاه عن الفحشاء و المنكر .

طهارة المكان :

طهارة المكان بالماء بينت فى كتب الفقه ، و له طهارة أخرى :

فالمكان إما أن يكون مسجدا عاما ، و طهارته أن يوسس على التقوى و لم يوسس ضرارا و لا تفريقا بين المسلمين ، و لا إرصادا لمن يحارب الله و رسوله ، و لا فخرا و رياء .

فإن كان غير مسجد فمن طهارته أن يكون غير مغصوب ، و لا مرهون فى يد الراهن ينتفع به ، فإن ذلك ربا، و هى نجاسة فى المكان ، و من طهارته التى يراعيها أهل المراقبة أن لا يكون مزخرفا زخرفة تشغل النظر و القلب ، و تجعل الإنسان فخورا .

فإن الصلاة مقام العبودية الخالصة ، و لا تكمل إلا بالذل و الا نكسار ، و الخضوع و الخشوع ، و من ذلك الإشارة إلى خطاب الله تعالى كليمه بعد بعده عن أهله و ماله ، فإن الوادى قدس و تجلى ربنا سبحانه لموسى و خاطبه بعد فراغ قلبه من الشغل بغيره سبحانه من مال و ولد أهل ، و لأهل الإشارة فى هذا المقام شهود و حكم لا تفى بها العبارة ، قال ﴿ ﷺ وآله﴾ : " الطهور نصف الإيمان " .

حكمة دخول الوقت :

معلون أن الإنسان فى الليل فقد الحس و الحركة بالنوم ، فصار كالميت ، فإذا أعاد الله عليه الحس و الحركة عند طلوع الفجر الصادق ، استقبل تلك النعم العظمى فرحا بفضل الله عليه ، و برحمته به ، فسارع إلى

شكره ، فكان وقت الصبح شكرا لله على الحياة الجديدة ، و افتتاحا لليوم الجديد بعمل صالح يحبه الله تعالى ، و حضورا مع الله تعالى بالدخول فى الصلاة ليقف بين يديه سبحانه ، مرتلا كلامه ، متملقا بين يديه بالذل الواجب على العبد لسيده الكبير المتعال ، آنسا بشهود جماله العلى وعظمته و كبريائه و فضله و إحسانه ، مبتهجا بما تفضل به عليه من توفيقه إياه ، و هدايته له ، و إقامته عاملا لمولاه ، متشبها و خيرة من والاه ، قال الله تعالى :﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ (١) و لذكر الله العبد فى الصلاة أكبر من الصلاة ، أو لذكر العبد ربه فى الصلاة حضورا و شهودا ، أكبر من الصلاة عملا و قولا فى الصلاة .

حكمة تخصيص أوقات الصلاة :

١ – صلاة الصبح : خصصت الشريعة المطهرة صلاة الصبح فى طلوع الفجر الصادق ، الذى تجتمع فيه ظلمة الليل و شعاع النهار ، ليشهد المصلى تغير الآيات فى نفسه ، فيعلم من عجائب القدرة و غرائب الحكمة ما يقوى به إيمانه ، و يتحقق أنه فى اختلاف الليل و النهار حكم بها صلاح العالم ، ظهرت بها رحمة أرحم الراحمين بخلقه ، فإذا صلى مشاهدا ، و جلس يذكر الله حاضرا توالت سواطع الأنوار ، حتى ينشق الأفق عن كوكب الشمس المشرقة بنورها ، و حرارتها و جمالها ، فيشهد فيها من الخواص و التأثيرات التى أودعها الله فى الكواكب ، لتكون آية كبرى دالة على كمال القدرة ، و وسعة الرحمة ،

---

(١) سورة العنكبوت آية ٤٥ .

فيفوز المصلى بمشاهد تتجدد له فى كل صباح ، تجعله ذاكرا لا ينسى ، و مطيعا لا يعصى ، و شاكرا لا يكفر ، و موحدا لا يجحد .

٢ – صلاة الظهر : ثم يخرج المسلم من طاعة إلى طاعة لأنه خرج من صلاة إلى سعى للعمل الذى يحصل به قوته ، تلبية لقوله تعالى : ﴿ فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ﴾ (١) فإذا انتصف النهار وزالت الشمس ، تحقق أن الشمس مقهورة مسخرة ، و علم ما أنعم الله به عليه بسببها ، و شهد من عميم فضل الله و عظيم نعمه عليه ، فسارع لذكره بصلاة الظهر ، مفكرا فى هذا الكوكب العظيم ، كيف تحول و تغير ، و أقبل و ادبر ، و يراه يسبح فى الأفق غير معتمد على عمد ، و لا مرتكز على جامد ، فيصلى الظهر مفردا ربه بالعبادة دون غيره ، ناظرا إلى ما أحاط به أنه مخلوق مقهور مسخر له بفضل الله.

٣ – صلاة العصر : فإذا صار ظل كل شيء مثله أو أكثر ، تحقق زوال الدنيا و فناؤها ، و تذكر الآخرة و أهوالها ، و أدرك من النعم المتوالية له أن الذى وهبها يجب له الشكر و الثناء ، لأن الكفور بالنعمة يؤاخذ بأليم العذاب ، فيسارع لصلاة العصر ، ذكرا لربه بعد الغفلة بالعمل للدنيا ، فيحضر معه سبحانه بعد الحجاب بالأمل .

---

(١) سورة الملك آية ١٥ .

و لأهل الشهود مواجهات خاصة بهم فى تلك الأوقات علية عن الأشارة ، و من تناول طهور قوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (١) . فاز بالحسنى .

و المؤمن إما أن يجلس لذكر الله حتى تغرب الشمس ، أو يسارع إلى خير يعمله من بر أو صلة أو إصلاح أو وفاء بعهد أو مواساة ، أو عمل ينفعه الله به و ينفع به غيره كتجارة أو صناعة أو زراعة .

٤ – **صلاة المغرب** : فإذا غربت الشمس أشرقت عليه أنوار الآيات ، فأيقن أن البقاء لله وحده ، و فهم حكمة اختلاف الليل و النهار ، و أن الليل نعمة عظمى للأبدان و الجوارح ، فيسارع إلى شكر الله بصلاة المغرب مفتتحا الليل بعمل صالح فرضه عليه ربه .

٥ – **صلاة العشاء** : و يجلس يذكر الله سبحانه و تعالى مشاهدا سرعة الآيات ، و ينتقل من شفق أبيض إلى شفق أحمر إلى فحمة الليل ، و قلبه يتقلب فى تلك المشاهد ، فيسارع بعد مغيب الشفق إلى صلاة العشاء ، مشاهدا أنوار قدرة الله التى أبدعت تلك الكائنات ، و حكمته التى نوعت تلك الآيات .

---

(١) سورة البقرة آية ٢٨٢ .

طلب العلم النافع واجب على كل مسلم :

و لأهل الصفا مشاهد قدسية ، تلوح بها أنوار الأسماء العلية ، لا تبينها العبارة ، و لا تومى إليها الإشارة ، قال سبحانه : ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ (١) و العابد يجهل حكمة العبادات لجهل بنفسه و بربه ، و إنما للمصلى من صلاته ماعقل منها ، و ليس العلم بالصلاة محصروا فى شروطها و فرائضها و سننها – فإن ذلك يكفى فيه تقليدا العامل العالم عند عمله – لأن المصلى يناجى ربه ، و كيف يناجى العبد من لم يعرف ؟ فأول واجب على المسلم طلب العلم النافع .

(١) سورة يوسف آية ٧٦ .

الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر

و الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر ، و هو على ثلاث درجات :

الدرجة الأولى :

امر بالمعروف و نهى عن المنكر باليد ، و هى درجة الأمراء فإن أهملوها عزلتهم الحقائق ، و سلب منهم الملك ، و فى هذه الدرجة إقامة حدود الله تعالى ، و قهر المجاهرين على الحق ، فإذا تعدى الناس حدود الله ، و أهمل الأمراء الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر باليد ، و انتشر الزنا و الخمر و الربا ، بل و انتشر ما هو أضر من ذلك و هو القتل و السلب و النهب ، و العقوق و القطيعة ، بل عم البلاء بما هو أكثر من ذلك ، و هو ترك الصلاة و الصيام و الزكاة و الحج ، و هو الكفر و العياذ بالله ، و متى حدثت تلم الأحداث ، سلط الله أعداءه على من أهملوا حدوده فسلبوا منهم الملك و الإمارة و العزة و سلطان الإدارة ، حفظنا الله تعالى من نتائج إهمال الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر .

الدرجة الثانية :

الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر باللسان و هو واجب العلماء ، فإن أهمل العلماء ما وجب عليهم سلبت منهم الخشية و المراقبة ، فصاروا شرا على المسلمين من الشياطين لأنهم يكونون أعوانا للظلمة و أنصار للمتسلطين بالباطل ، و هى صفات الشياطين لأن الشياطين علماء يعملون بغير ما علموا ... قال

الله تعالى : ﴿ شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ ([1]) و من ادعى العلم و وقف على أبواب السلاطين و الأمراء ، أو حاباهم و والاهم فهو لص ، حفظنا الله تعالى من علم لا ينفع ، و قلب لا يخشع ، و دعاء لايرفع .

الدرجة الثالثة :

الدرجة الثالثة من الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر درجة القلب و هى للعامة خاصة ، لجهلهم بالطرق المنتجة للرجوع إلى الحق ، فربما أمروا أو نهوا باللسان فأفسدوا ، قال تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ ([2]) و هم الأمراء لتنفيذ أحكام الشرع ، و العلماء لبيان سبل الله تعالى بألسنتهم ، و العامة ببغض المذنبين و بغض أعمالهم و التباعد عنهم .

قال ﴿ ﷺ وآله﴾ : (من لم يأمر بالمعروف و ينه عن المنكر فليس من امة محمد) و قال أيضا : (لعن الله الآمرين بالمعروف التاركين له ، و الناهين عن المنكر الفاعلين له) .

الجهاد

الجهاد بذل ما فى الوسع لتكون كلمة الله هى العليا و يكون العمل بسنة رسول الله ، و الجهاد لا يسقط أبدا حتى يكون الدين كله لله ، و أكبر

([1]) سورة الأنعام آية ١١٢ .

([2]) سورة آل عمران آية ١٠٤ .

الجهاد جهاد النفس أولا ، و روى أن رجلا سأل رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ : أى منزلة أفضل عند الله بعد أنبيائه و أصفيائه ؟ " المجاهد فى سبيل الله بماله و نفسه" .

و قد أفردت كتابا خاصا بالجهاد ، أسأل الله تعالى أن يعين على طبعة و أن ينفع به ([1]) .

خمسة يجب على المسلم معرفتها و هى :

١ – معرفة المعبود .

٢ – و الرضا بالموجود .

٣ – و إقامة الحدود .

٤– و الصبر على المفقود .

٥ – و الوفاء بالعهود .

أصول الكفر أربعة :

١ – الجهل .

٢ – و الحمية .

٤ – و الكبر .

٥ – و الحسد .

([1]) تم طبع كتاب (الجهاد) فى عهد سماحة السيد عز الدين ماضى أبى العزائم ، و يطلب من مكتبة (دار الكتاب الصوفى) ١١٤ ش مجلس الشعب – القاهرة .

الباب الرابع

الـــتوحيـــد

تعريف :

التوحيد هو الشراب الطهور الذى سقاه الله بيد عنايته من سلســـبيل محبته إحسانا منه سبحانه بسابقة الحسنى أزلا .

التوحيد و مآخذه :

هذا العلم يتلقى من القرآن و السنة ، و من أفواه أهل الخشية من الله ، الذين و اجههم بجماله العلى مواجهة منحتهم اليقين الحق فـــرأوا ملكـــوت السموات و الأرض ، و ليس للعقول – و إن كملت – قوة تستبين بها حقيقة هذا العلم ، لأن المطلوب على عظيم ، غيب عن الأرواح ، الدليل عليه خفى ، و إنما هو الحس يحكم على الأجسام و الأغراض ، و فى هذا العلم لا يقـــاس الغائب بالحاضر ، لأنه مترّه عن النظير و الشبيه ، و من طلـــب هـــذا العلـــم بالبحث و النظر ارتد خاسئا و حسيرا ، و لكن لابد من رياضة النفس بـــالنظر إلى الكائنات لتنبلج الآيات ، و إذا ظهرت الآيات انشرح الصدر ، و اطمـــأن القلب ، فأقبل العبد سميعا مطيعا ، مؤمنا بما يتلى عليه من آيـــات التوحيـــد فى القرآن و السنة ، و عبارات و إشارات السلف الصالح ، و العقل مقهور مخلوق منحه الله القوة التى يدرك بها الصالح ، و ليس له أن يحكم على القهار القوى ،

و لا أن يحوم حوالى سواطع أنوار العزة و العظمة و الكبرياء ، قال تعالى : ﴿ لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١) .

و الذى دعا علماء الخلف إلى هذه الحرب الطاحنة بينهم ، إثباتا و سلبا و تشبيها و تعطيلا أمران عظيمان :

الأمر الأول :

إقامة الحجة على أعداء الإسلام من المجسمين كالنصارى واليهود و المجوس و الصابئة ، و المشبهين كالغلاة من الزنادقة و الفلاسفة ، و الشاطحين من الممرورين الذين ارتاضوا على أيدى الجهلاء ، و تركوا مجالسة أهل العلم بالله تعالى و العارفين ، و اعتزلوا لناس اشتغالا بالذكر و الخلوة قبل أن يتعلموا العلم النافع ، فمثلوا الحق بأوهامهم و شبهوه بخيالاتهم ، و من دخل الخلوة للرياضة – قبل أن يلتقى العلم النافع و الفرق بين التشبيه و التنزيه – هلك بوهمه و خياله .

و كان السلف الصالح لا يدخلون السالك الخلوة و له و هم أو خيال فى هذا الجانب .

الأمر الثانى :

أنهم و قفوا عند عقولهم ، فخافوا على الله تعالى فنزهوه سبحانه تنزيها اقتضى التعطيل ، فوقعوا فيما وقع فيه المشبهون ، حفظنا الله و إخواننا المؤمنين

---

(١) سورة الأنعام آية ١٠٣ .

من الخلط فى هذا المقام ، و منحنا التسليم لله و لرسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ و الاقتداء بسلفنا الصالح .

و قد بينت العقيدة فى كثير من الكتب السابقة بيانا مرتبا ترتيبا على قدر قوة السالك ، فوضعت فى كل كتاب عقيدة بحسب المقامات التى هى : الإسلام ، و الإيمان ، و الإحسان ، و الإيقان . فإن لكل مقام علما لابد منه ، و عملا خاصا به ، كتربية الطفل يفتتح قوته باللبن حتى يقوى على غيره ، قال تعالى : ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ (١) و لما كانت عبارات السلف الصالح فى هذا العلم ، يقوى بها يقين المؤمن ، أحببت أن أورد فى هذا المختصر بياناتهم فى التوحيد ، ليعلم السالك أن ما يتلقاه من علم الوتحيد ليس هو العلم الذى به النجاة ، و إنما هو دروس لرياضة النفس ، بها تقوى على دفع شبه الفرق الضالة ، و هذا العلم إنما يتلقى من الكتاب و السنة ، و العلماء أهل الخشية من الله تعالى .

(١) سورة الصافات آية ١٦٤ .

كيف نتلقى التوحيد

أولا : الدرس الأول

أول درس من دروس التوحيد لتقلته الأرواح من ربها عيانا و سماعا منه سبحانه فى يوم ﴿ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ ﴾[1] و هذا أول خمر أديرت على الأرواح فأسركتها ، عاهد الله الأرواح ألا تغفل و لا تنسى ، و لكن الأشباح حجبت الأرواح فنسيت .

ثانيا : الدرس الثانى

يتلقاه المسلم من والديه بالتقليد و التسليم و بهما يسعد إن كانا مؤمنين ، أو يشقى إن كاناكافرين ، قال ﴿ ﷺ وآله﴾ فى الحديث الطويل : (و أبواه يهودانه أو ينصرانه) .

ثالثا : الدرس الثالث

يتلقاه المسلم بعد البلوغ من العلماء الربانيين و الأمناء العارفين الذين حصلوا هذا العلم من كتاب الله و سنة نبيه ﴿ ﷺ وآله﴾ ، و من صحبة صفوة الله من خلقه و خيرته من عباده ، و هم أهل التمكين و حق اليقين بعد عين اليقين .

---

[1] سورة الأعراف آية ١٧٢ .

و من تلقى هذا العلم من علماء الكلام ، أو من الفرق المتفرقة أهـــل الرأى و الجدل و البحث و الدلائل العقلية ، لم يفز بالتوحيد بل ارتد بالشكوك فى لبس من خلق جديد ، أعاذنى الله و إخوانى من أن نتلقى هذا العلم بمـــوازين أهل الكفر بالله من اليونان و الرومان و الفرس ، و نترك ما جاءنا به رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ من عند الله .

رابعا : الدرس الرابع

يتلقاه المسلم من القرآن و السنة ذوقا و إلهاما ، حتى يبلغ درجة يقرأ القرآن فيسمعه من رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ ، و يرقى إلى مقام يسمع فيه من رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ فى حالة استحضار ، و لديها يتفضل الله تعالى عليه فيقربه قربا ينال به حالة روحانية يستظهر منها القرآن من الله تعالى .

و هنا نطوى بساط دروس التوحيد فى مقامات التمكين ، غيرة للأسرار العلية ، و رحمة بالعقول الإنسانية ، و من طلب المزيد لـــزم أعتـــاب المرشـــد الكامل.

أنواع التوحيد

أولا : توحيد الإقرار

و مأخذه قوله ﴿ ﷺ وآله﴾ (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله)و هذا الإيمان يحفظ الله به العبد من ذل الكفر ، و يحفظ الله به ماله و دمه و لو لم يكن معتقدا ، و من أقر دخل الجنة مهما كانت ذنوبه ، فالإقرار بالتوحيد نجاة فى الدنيا من كل شدة ، و فوز بالجنة يوم القيامة إن غفر الله له ذنوبه ، أو رجوعه إلى الجنة إن حاسبه الله عليها .

و قد ورد فى الأثر أن رجلا أقر بالتوحيد و لم يعمل خيرا ، فلما مات أمر أن يحرق و ينشر فى الهواء و البحار ، فأمر الله تعالى الهواء أن يحفظ رماده حتى تقوم الساعة ، فسأله الله يوم القيامة لم أحرقت نفسك ؟ فقال : خجلا منك يا ربى لعظيم ذنوبى . فعفا عنه و غفر له ، و من أقر بالتوحيد معتقدا و عمل بشرائع الإسلام دخل الجنة مع الذين يقولون : ﴿ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ﴾([1]) .

ثانيا : توحيد العلم

و مأخذه قوله سبحانه و تعالى : ﴿ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أُنزِلِ بِعِلْمِ اللّهِ وَأَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ﴾ ([2]) و هذا التوحيد ينتج الإيمان بعد وضوح الدلائل المشـــرقة فى

([1]) سورة الحاقة آية ١٩ .

([2]) سورة هود آية ١٤ .

الكائنات و شهود الآيات البينات ، و صاحب هذا التوحيد مؤهل للفقه فى دين الله ، و ذوق أسرار القرآن المجيد و صحبة أبدال رسل الله ، بل و صحبة الوارث الفرد الجامع ، و إذا عمل هذا الموحد العالم بعلمه ، ذاق حلاوة الوحدة فى الكثرة .

ثالثا : توحيد الشهود

مأخذه قوله سبحانه : ﴿شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١) و هذا التوحيد الشهودى ثمرته الاستقامة و صاحبه يتمكن فى مقام الإحسان ، قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ ..﴾ (٢) و هو الواصل المتصل ، بل هو نجم لآله و خلانه يسقى الماء و اللبن ، و يمنح الفضل و المنن .

رابعا : توحيد وجود التوحيد

مأخذه من قوله سبحانه و تعالى : ﴿ قُلِ اللّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ (٣) و وجود التوحيد يدار فيه خمرة المحبة بالعانانية ، و تمنح فيه حلل الولاية ، و صاحبه جذب جذبة الخلة ، طمست بقية آثار بشريته الباطلة ، فإذا حفظ السر و قهر الحال اتحد بالمتعال ، لأنه رام فهام و كان فبان ، غار الحق

---

(١) سورة آل عمران آية ١٨.

(٢) سورة فصلت آية ٣٠ .

(٣) سورة الأنعام آية ٩١ .

عليه ، فأمسكه لديه ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ ﴾ ([1]) و قال سبحانه : ﴿ لَهُم مَّا يَشَاؤُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ ([2]) و هم القائمون لله بالحجة الموضحون للمحجة ، تجاوزوا الرسوم و الجسوم و العلم و العرفان إلى مقام قاب قوسين ، اتباعا للحبيب الأكبر ﴿ ﷺ وآله﴾ ، و فى الأثر : " أوليائى تحت قبائى لا يعرفهم غيرى " إن صالت عليه صولة الاتحاد ، أو غمرته أنوار القدر ، غشته العزة بصفة البشر ، سر قوله : " مرضت فلم تعدنى ، و جمعت فلم تطمعنى ، و عريت فلم تكسنى " و إن فاجأه متكبر بحرب ، أسرع إليه الرب ، معنى قوله ﴿ ﷺ وآله﴾ فى الحديث القدسى : " من آذى لى وليا آذانته بالحرب " جملة بحلة الخلافة ، و توجه بتاج أبدال أكمل مرسل ﴿ ﷺ وآله﴾ ، و قوله تعالى : ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللّهَ رَمَى ﴾ ([3]) و قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ ([4]) و صاحب هذا المقامعشق فاحترق ، و جذب فاصطفى و صوفى ، اضمحلت فى وصفه العلوم ، و اندثرت فى آثاره الرسوم .

خامسا : محو التفريد بالتوحيد

و هو النوع الخامس لا يسطر على صفحات الأوراق ، و لا يباح للعقول و الأفهام ، لأنه محو التفريد بالتوحيد ، سر قوله تعالى : ﴿وَمَا قَدَرُوا

([1]) سورة الأعراف آية ٢٠٦ .

([2]) سورة الشورى آية ٢٢ .

([3]) سورة الأنفال آية ١٧ .

([4]) سورة الفتح آية ١٠ .

اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ [1] و لكنه يشم شميما من إشارات أهل التمكين ، فى حـــال اصطلام صولة الاصطناع و هى نتف من الإشارات لا تعقل و لا تذاق للنفوس ، قال تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ [2] و من نظر إلى الجديد لا يذوق حلاوة التوحيد ، و الموحدون نظروا بعين المحبة الأزل ، أنه على ما هو عليه لم يزل ، و لكنهم ميزوا بين الحادث و القديم ، فلم يلتبس عليهم الأمر بخلق جديد .

---

[1] سورة الزمر آية ٦٧ .

[2] سورة العنكبوت آية ٤٣ .

حقائق التوحيد

أولا : توحيد الله نفسه بنفسه

و هو التوحيد الذى لا يطيقه مخلوق مقهور ، و فى الأثر : (كلكم حمقى فى ذات الله) قال الصديق الأكبر :(العجز عن الإدراك إدارك ") .

ثانيا : توحيد من اصطفاهم

توحيد الله الذى يتفضل الله به على من اصطفاهم من أولى العـــزم ، و على من اجتباهم من رسله وأنبائه عليهم الصلاة و السلام ، و من اختطفهم يد العناية من ورثه رسول الله ، و أبدال الرسل عليهم الصلاة و الســـلام ، ممـــن أظهر أرواحهم بدءا على بديع جماله العلى ، و ذكرهم فى الكون بألسنة الرسل و الورثة بما أظرهم عليه بدءا و أعاهم فقبلوا و أقبلوا ، قال تعالى : ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُـــمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ ([1]) .

ثالثا : توحيد الخلق ربهم بالنظر و الاستدلال

و لكل حقيقة من تلك الخقائق شواهد قائمة ، و دلائل واضـــحة ، و طهور يدار على أهل الصفا من الأخيار ، فالتوحيد الذى وهبه الله لعباده مأخذه

([1]) سورة الزمر آية ٢٣ .

: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١) و التوحيد الذى يحصله الخلق ، مأخذه من قوله سبحانه : ﴿ قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ (٢) .

الحادث و القديم :

إذا نظر القلب إلى الحادث الجديد صار محجوبا بعيدا ، قال تعالى : ﴿ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ (٣) و إنما الجديد ليشير للقلب إلى ما فيه من سر الحى القيوم ، و نور القادر الخلاق العليم ، فإذا تجرد القلب من نظره إلى الجديد ، أشرقت أنزار الآيات ، و صار للغيب شهيدا ، و إذا تجرد من شهوده ظهرت غرائب القدرة و عجائب الحكمة ، فجذبته إلى القادر الحكيم ، و أظهر الجديد كله ، ليعرف جل جلاله بقدرته الباهرة ، و يلحظ القلب أنواره الظاهرة ، فيشكره العبد و يذكره و لا يكفره ، و يطيعه و يعبده و لا يجحده ، و من شغله الجديد الفانى عن الدقيم الباقى طال اغترابه ، و دام عذابه .

تعريف التوحيد :

هو تمييز الحادث من القديم ، حتى يذوق حلاوة التوحيد ، و من حكم عليه خياله و وهمه ، نظر إلى المادة و أعرضها فنسى الله تعالى فأنساه الله نفسه ، قال تعالى : ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾ (٤) و من نسى نفسه بداءا و نهاية ، تمنى يوم القيامة أن يكون ترابا .

---

(١) سورة الذاريات آية ٥٥ .

(٢) سورة يونس آية ١٠١ .

(٣) سورة ق آية ١٥ .

(٤) سورة الحشر آية ١٩ .

من عبارات أهل العلم بالله فى التوحيد

أوردها عليك فى هذا المختصر ، لتعلم أن طريق آل العزائم عمل بما كان عليه السلف الصالح و تجديد لعلومهم و أحوالهم وأسرارهم رضى الله عنهم ، قال الله تعالى : ﴿ وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ (١) و نحن نرشف من رحيق عبارات علماء السلف ، ما به تطمئن قولبنا بأنا – و الحمد لله – اقتبسنا من المشكاة المحمدية التى اقتبسوا منها .

قال الشاشى الأندلسى – عاد الله لنا و بنا أنوار الأندلس فى الأندلس ، و فى جميع الأمم الإسلامية ، و أهلك الأسبان و كل الأمم الظالمة ، الذين أقسدوا البلاك و أضلوا العباد بطغيانهم إنه مجيب الدعاء – قال : إن الأولياء يتمندلون أى " يتروحون " بأسماء الله الحسنى ، ما عرفه من كيفه ، و ما وحده من مثله ، و لا عبده من شبهه . المشبه أعشى ، و المعطل أعمى ، و الشمبه متلوث بفرث التجسيم ، و المعطل نجس بدم الجحود ، و نصيب المحق لبن خالص ، و هو التنزيه ، انزل من علو التشبيه و لا تعل قلل أباطيل التعطيل ، فالوادى المقدس بين الجبلين (٢) .

قال أبو المعالى رحمه الله : من اطمأن إلى موجود انتهى إليه فكره فهو مشبه ، و من سكن إلى النفى المحض فهو معطل ، و من قطع بموجود و اعترف بالعجز عن إدراكه فهو موحد ، جل رب الأعراض و الأجسام عن صفات الأعراض و الأجسام ، جل ربى عن كل ما اكتنفته لحظات الأفكار و الأوهام .

---

(١) سورة هود آية ١٢٠ .

(٢) لا تعل أعلى جبل أباطيل التعطيل أى الذين عطلوا الأحكام الشرعية أو أنكروا الحساب و هم فئة من الخوارج ، و الوادى المقدس بين جبلى التنزيه و تنفيذ أحكام الله .

و قال الدقاق رحمه الله : المريد صاحب و له ، لأن المارد بلا شبه ، و قيل : مثله الأعلى ليس كمثله شيء .

و قال الجنيد رحمه الله : أشرف كلمة فى التوحيد قول الصديق : الحمد لله الذى لم يجعل للخلق سبيلا إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته . قال القشيرى رحمة الله عليه : يعنى أن العارف عاجز عن معرفته و المعرفة موجودة فيه .

و لغيره : ما عرف الله سوى الله (لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك) .

كل ما ترتقى إليه بوهم
من جلال و قدرة و ثناء
فالذى أبدع البرية أعلى
منه سبحان مبدع الأشياء

سأل المريسى الشافعى رضى الله عن التوحيد بحضرة الرشيد ، فقال : أن لا تتوهمه و لا تتهمه ، فأبهت .

و قال الشبلى رحمه الله : من توهم أنه واصل فليس له حاصل ، و من رأى أنه قريب فهو بعيد ، و من تواجد فهو فاقد ، و من أجاب عن التوحيد بالعبارة فهو غافل ، و من سكت عنه فهو جاهل ، ما أردت همة سالك أن تقف عند ما كشف لها ، إلا نادته هواتف الحقيقة : (الذى تطلب أمامك) و ما تبرجت ظواهر المكونات إلا نادتك حقائقها : (إنما نحن فتنة فلا تكفر) .

ما ينتهى نظرى منهم إلى رتب
فى الحسن إلا ولاحت فوقها رتب

و قال الجريرى : ليس العلم التوحيد إلا لسان التوحيد . و قال الحسن رحمه الله : العجز عن درك الإدراك إدراك

تبارك الله وارت غيبه حجب

فليس يعرف إلا الله ما الله

دعا نبى إلى الله عز و جل بحقيقة التوحيد ، فلم يستجب له إلا الواحد بعد الواحد ، فعجب من ذلك ، فأوحى الله عز و جل إليه : " تريد أن تستجيب لك العقول ؟ قال : نعم ، قال : احجبنى عنها ، قال : كيف أحجبك و أنا أدعو إليك ؟ قال : تكلم فى الأسباب و فى أسباب الأسباب " فدعا الخلق من هذا الطريق فاستجاب له الجم الغفير .

و من عجز عن أقرب الأشياء نسبة منه فكيف يقدر على أبعد الأمور حقيقة منه ؟ من عرف نفسه عرف ربه . و منه : دع ما يسبق إلى القلوب إنكاره ، و إن كان عندك اعتذاره .

و لما احتضر الوليد بن إبان رحمه الله تعالى ، قال لبنيه : هل تعلمون أحدا هو أعلم بالكلام منى ؟ قالوا : لا ، قال : فإنى أوصيكم بما عليه أهل الحديث ، فإننى رأيت الحق معهم . و عن أبى المعالى نحوه .

و منهم من هجر أحمد المحاسبى لما صنف فى علم الكلام ،فقال : إنما قصدت إلى نصر السنة ، فقال : ألست تذكر البدعة و الشبهة ؟ قلت : من تحقق كلام فخر الدين الرزاى ، وجده فى تقرير الشبه أشد منه فى الانفصال عنها ، و فى هذا ما لا يخفى .

و منه من آمن بالنظر إلى ظاهر الثعبان ، كفر بالاستماع إلى خوار العجل ، و من شاهد مجاوزة القدرة الإلهية لمنتهى وسعة القوة البشرية ، لم يكترث بوعيد الدنيا ، و لم يؤثر الهوى على الهدى و التقوى .

و منه : قال على بن الحسين عليه السلام : من عرف الله بالأخبار ، دون شواهد الاستبصار و الاعتبار ، اعتمد على ما تلحقه التهم .

و منه : قيل لطبيب : بم عرفت ربك ؟ قال : بالأهليج يجفف الحلق ، و يلين .

و قيل لأديب بما عرفت ربك ؟ قال : بنحلة ، فى أحد طرفيها عسل ، و فى الآخر لسع ، و العسل مقلوب اللسع .

و سأل الدهرية الإمام الشافعى عن دليل الصانع فقال : ورقة الفرصاد تأكلها دودة القز فيخرج منها الإبرسيم ، و النحل فيكون منها العسل ، و الظباء فينعقد فى نوافجها المسك ، و الشاة فيكون منها البعر ، فآمنوا كلهم و كانوا سبعة عشر .

قيل لأعرابى : بم عرفت ربك ؟ فقال : البعرة تدل على البعير ، و الروث يدل على الحمير ، و آثار الأقدام تدل على المسير ، فمساء ذات أبراج و بحار ذات أمواج ، أما يدل ذلك على العليم القدير ؟

قد يستدل بظاهر عن باطن

حيث الدخان يكون موقد نار

قيل لأعرابى : بم عرفت الله ؟ فقال : بنقض عزائم الصدور ، و سوق الاختيار إلى حبائل المقدور .

و قال الدقاق : لو كان إبليس بالحق عارفا ، ما كان لنفسه بالإضلال و الإغواء واصفا .

و منه : التوحيد محو آثار البشرية ، و تحديد صفات الألوهية ، الحق واحد فى ذاته لا ينقسم ، واحد فى صفاته لا يماثل ، واحد فى أفعاله لا يشارك ، لو كان موجودا عن عدم ما كان موصوفا بالقدم ، الحياة شرط القدرة ، دلت على ذلك الفطرة ، لو لم يكن الصانع حيا ، لا ستحال أن يوجد شيئا . لو لم يكن باقيا لكان للألوهية منافيا . لو كان البارى جسما ما استحق الألوهية اسما ، لو كان البارى جوهرا لكان للتحيز مفتقرا . العرض لا يبقى و القديم لا يتغير و لا يفنى . لو لم يكن بصفة القدرة موصوفا ، لكان بسمة العجز معروفا . لو لم يكن عالما قادرا لاستحال كونه خالقا فاطرا . دلت الفطرة و العبرة أن الحوادث لا تحصل إلا من ذى قدرة ، لو لم يكن بالإرادة قاصدا ، لكان العمل بذلك شاهدا . من تنوع إيجاده ، دل ذلك على أن الفعل مراده . لو لم يكن بالسمع و البصر موصوفا ، لكان لضديهما مألوفا . لو جاز سامع لا سمع له لجاز صانع لا صنع له . لو كان سمعه بأذن لافتقرت ذاته إلى ركن . من صدرت عنه الشرائع و الأحكام ، كان موصوفا بالكلام . ليس فى الصفات السبع ما لا يتعلق إلا بالحياة ، و لا يؤثر إلا القدرة و الإرادة ، كما جاز أن يأمر بما لا يريد ، جاز ان يريد ما لا يحب . لا يسأل عما يفعل ، الواحد كاف (١) و ما زاد عليه متكاف ، ليس مع الله تعالى موجودات لأن الموجودات كلها كالظل من نور القدرة . له نور التبعية لا رتبة المعية .

إن من أشرك بالله جهول بالمعانى

(١) (كاف) من قوله تعالى : " أليس الله بكاف عبده " سورة الزمر آية ٣٦ .

أحول العقل لهذا ظن للواحد ثانى

قال سيدنا جعفر بن محمد : لو كان على شيء لكان محولا ، و لو كان فى شيء لكان محصورا ، و لو كان مع شيء لكان محدثا .

قيل لتمامة بن الأشرف رحمة الله تعالى عليه : متى كان الله ؟ فقال : و متى لم يكن ؟ فقيل : لم كفر الكافر ؟ فقال : الجواب عليه .

قال خادم أبى عثمان : قال لى مولاى : يا محمد لو قيل لك : أين معبودك ؟ ما كنت تجيب ؟ قال : أقول : بحيث لم يزل . قال : فإن قيل لك : فأين كان فى الأزل ؟ فقال : أقول : بحيث هو الآن . فنزع قميصه و أعطاينه . قيل لصوفى : أين هو ؟ فقال : محقك الله ، أيطلب مع العين أين ؟ .

و منه : سمعت شيخا يقول : نقصنا صفة كمال له فينا ، يعنى إذا وجب له كل الكمال وجب لنا كل النقص . و هذا على أنه ليس فى الإمكان أبدع مما كان ، و فيه كلام .

و منه : بلغ أحمد أن أبا ثور قال فى الحديث : خلق الله آدم على صورته أن الضمير لآدم ، فهجره ، فأتاه أبو ثور فقال أحمد : أى صورة كانت لآدم يخلقه عليها ، كيف تصنع بقوله : " خلق الله آدم على صورة الرحمن " فاعتذر إليه و تاب بين يديه .

و منه : أتى يهودى المسجد فقال : أيكم وصى محمد ﴿ ﷺ وآله﴾ ؟فأشاروا إلى الصديق رضى الله عنه قال : إنى سائلك عن أشياء لا يعلمها إلا نبى أو وصى نبى ، قال : سل ، قال : فأخبرنى عما ليس لله ، و عما ليس عند الله ، و عما لا يعلمه الله ، فقال : هذه مسائل الزنادقة و هم بقتله ، فقال ابن

عباس : ما أنصفتموه ، إما أن تجيبوه ، و إما أن تصرفوه إلى من يجيبه ، فإنى سمعت رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ يقول لعلى : " اللهم اهد قلبه و ثبت لسانه " فقال أبو بكر : قم معه إلى على ، فقال له سيدنا على : أما ما لا يعلمه الله فقو لكم فى عزيز : إنه ابن الله ، و الله عز و جل لا يعلم له ولدا ، قال فى التزيل : ﴿ وَيَقُولُونَ هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ ﴾ (١) و اما ما ليس عندك الله فالظلم ، و أما ما ليس له فالشريك .

فأسلم اليهودى ، فقبل أبو بكر رأس على و قال له : يا مفرج الكربات ، و ورد مثل هذه المسائل عن الصحابة رضى الله عنهم .

و قال العتابى لأبى قزة النصرانى عند المأمون : ما تقول فى المسيح ؟ قال : من الله ، قال : البعض من الكل على سبيل التجزؤ ، و الولد من الوالد على طريق التناسل ، و الخل من الخمر على وجه الاستحالة ، و اخلق من الخلق على جهة الصفة ، فهل من معنى خامس ؟ قال : لا ، و لكن لو قلت بواحد منها ما كنت تقول ؟ قال : البارى لا يتجزأ ، و لو جاز عليه ولد لجاز له ثان و ثالث ، هلم جرا ، و لو استحال فسد ، و الرابع مذهبنا و هو الحق .

و منه : أول ما تكلم به عيسى عليه السلام فى المهد أن قال : (إنى عبد الله) (٢) ، و هو حجة على العالين فيه ، يقال لهم : إن صدق فقد كذبتم و إلا فمن عبدتم و لم ادعيتم ؟ . قال القاضى بن الطيب للقسيس لما وجهه عضد الدولة إلى ملك الروم : لم اتحد اللاهوت بالناسوت ؟ فقال : أراد أن ينجى الناس من الهلاك ، قال : فهل درى أنه يقتل و يصلب أو لا ؟ فإن لم يدر لم يجز

---

(١) سورة يونس آية ١٨ .
(٢) سورة مريم آية ٣٠ .

أن يكون إلها و لا ابنا ، و إن درى فالحكمة تمنع من التعرض لمثل ما قلتم إنه جرى .

سأل القاضى هذا البطريق عن أهله و ولده ، فأنكر ذلك النصارى ، فقال : تبرئون هذا ما تثبتونه لربكم ؟ سوأة لهذا الرأى ، فكسروا .

قال ابن العربى : سمعت الفقراء ببغداد يقولون : إن عيسى عليه السلام كان إذا خلق من الطين كهيئة الطير طار شيئا ثم سقط ميتا ، لأنه كان يخلق و لا يرزق ، و لو رزق لم يبق أحد إلا قال هو الله ، إلا من أوتى هداه .

سأل ابن شاهين الجنيد عن معنى (مع) فقال : مع الأنبياء بالنظر و الكلاءة (إننى معكما) ([1]) و مع العامة بالعلم و الإحاطة " و هو معهم " ([2]) فقال : مثلك يصلح دليلا على الله .

و منه : سأل قدرى عليا رضى الله عنه عن القدرة ، فأعرض عنه ، فألح عليه فقال : أخلقك كيف شئت أم كيف شاء ؟ فأمسك ، فقال : أترتونه يقول : كيف شئت إذا و الله أقتله ، فقال : كيف شاء ، فقال : أيجيبك كيف تشاء أو كيف يشاء ؟ قال : كيف يشاء ، فقال : أيدخلك حيث تشاء أو حيث يشاء ؟ قال : حيث يشاء ، قال : اذهب فليس لك من الأمر شىء .

قال أبو سليمان : أدخلهم الجنة قبل أن يطيعوه ، و أدخلهم النار قبل أن يعصوه ، جل حكم الأزل أن يضاف إلى العلل ، سبق قضاؤه فعله ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ ([3]) ، و أوقفت مشيئته أمره ﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴾ ([4]) قال الشاذلى : أهبط آدم إلى الأرض قبل

([1]) سورة طه آية ٤٦ .
([2]) سورة النساء آية ١٠٨ .
([3]) سورة البقرة آية ٣٠ .
([4]) سورة يونس آية ٩٩ .

أن يخلقه لأنه قال : " فى الأرض " و لم يقل : فى السماء ، و لا فى الجنة قال الأوزعى : قضى بما نهى ، و حال دون ما أمر ، و أخطر إلى ما حرم .

قال الأوزاعى لغيلان : مشيئتك مع مشيئة الله عز و جل أو دونهما ؟ فلم يجبه ، فقال هشام بن عبد الملك : فلو اختار واحدة ؟ فقال : إن قال : معها ، فقد زعم أنه شريك ، و إن قال : وحدها ، فقد تفرد بالربوبيه ، قال : لله درك أبا عمرو .

من بيان عظمته : ﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَات ﴾ (١) من آثار قدرته : ﴿ رَفَعَ السَّمَاوَاتِ ﴾ (٢) ، توقيع أمره (يأمر بالعدل و الإحسان) ، واقع زجره : ﴿ وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ﴾ (٣) تنفيذ حكمه : ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ (٤) دستور ملكه : ﴿ لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ (٥) .

قال ابن إياس بن معاوية : ما خاصمت أحدا بعقلى كله إلا القدرية ، قلت لقدرى : ما الظلم ؟ فقال : أخذ ما ليس لك ، قلت : فإن الله له كل شىء .

قال الواسطى : ادعى فرعون الربوبية على الكشف ، و ادعت المعتزلة الربوبية على الستر ، تقول : ما شئت فعلت .

و منه : من أقصته السوابق لم تدنه الوسائل ، إذا كان القدر حقا فالحرص باطل ، إذا كان الله عز و جل عدلا فى قضائه فمصيبات الخلق بما كسبت أيديهم .

---

(١) سورة غافر آية ١٥ .
(٢) سورة الرعد آية ٢ .
(٣) سورة النحل آية ٩٠ .
(٤) سورة البروج آية ١٦ .
(٥) سورة الأنبياء آية ٢٣ .

ما عذر معتزلى موسر منعت

كفاه معتزليا مهسرا صفدا

أيزعم القدر المحتوم ثبطه

إن قال ذاك فقد حل الذى عقدا و منه : دخل محمد بن واسع على بلال بن فروع فقال : ما تقول فى القدر ؟ فقال : تفكر فى جيرانك أهل القبور فإن فيهم شغلا عن القدر .

و كل من أغرق فى نعته

أصبح منسوبا إلى العمى

المقادير تبطل التقدير و تنقض التدبير ، قال معتزلى لسنى : لو أراد ثبوت أحد على الكفر لم يقل : (يخرجهم من الظلمات إلى النور) فقال السنى : لو لم يكن الإيمان من فعله لم يقل : ﴿ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ ﴾ (١) .

قال تغفور طاغية النصارى لأبى الحسن الشابانى : أنت تقول إن الخير و الشر من الله – و ذلك النصارى كلهم على مذهب القدرية فى الاستطاعة – قال : نعم ، قال : كيف يعذب عليه ؟ هل كان حقا عليه أن يخلق ؟ فقال : لم يضطره إلى ما خلق مضطر .

قيل : نزلت : ﴿ وَمَا أَضَلَّنَا إِلا الْمُجْرِمُونَ ﴾ (٢) فى القدرية لأنهم أضافوا الحول و القوة فى الشر إلى البشر فأشركوهم فى الخلق ، أما ترى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلالٍ وَسُعُرٍ﴾ (٣) إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ

(١) سورة البقرة آية ٢٥٧ .
(٢) سورة الشعراء آية ٩٩ .
(٣) سورة القمر آية ٤٧ .

خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [1] .

كنت دهرا أقول بالإستاطاعة
و أرى الجبر ضلة و شناعة
ففقدت استطاعتى فى هوى ظبى
فسمعا لمن أحب و طاعة

****

ما لا يكون فلا يكون بحيلة
أبدا ، و ما هو كائن سيكون

****

تريد النفس أن تعطى مناها
و يأبى الله إلا ما يشاء
****

شفاء الصدور فى التسليم للمقدور.

---

[1] سورة القمر آية ٤٩ .

****

إذا لم يكن إلا الأسنة مركبا

فلا رأى للمضطر إلا الاتكابها

****

أى يوم من الموت أفـــــر

يوم لا يقدر أم يوم قدر

إذا كان الداء من السماء بطل الدواء .

قالت الحائط للوتد : لم تشقنى ؟ قال : سل من يدقنى.

الناس يلحون الطبيب و إنما

غلط الطبيب إصابة المقدور

قيل لحكيم : أخرج الهم من قلبك ، فقال : ليس بإذنى دخل .

نفسى تنازعنى فقلت لها قرى

موت يريحك أو صعود المنبر

ما قد قضى سيكون فاصطبرى له

و لك الأمان من الذى لم يقدر

و لتعلمى أن المقدر كائن

لابد منه صبرت أم لم تصبرى

الخـــاتـــمة

و إلى هذا نختتم بشميم من عبيره رضى الله عنه من قصيدة له :

فوق علم التوحيد عين اليقين
فوقها الحق حظوة التمكين
نور علم التوحيد يخفى المبانى
حيرتى فيه مبدأ التلوين
فيه صح التعبير سر بيانى
ثم عين التوحيد فى المضمون
فوق فحوى إشارتى و بيانى
فى خفاء من الكتاب المبين
ثم حق التوحيد فى غيب غيب
فوق إدراكنا بكنز مصون
كل ما لاح فهو علم بيان
من إشارات عالم بالدين
ثم عين التوحيد للروح تجلى
فى مقام اصطفاء أهل اليمين
ثم حق التوحيد غيب خفى
غامض قد يلوح فى التعيين
لم تسعه الأوراق بل و لسانى
لم يبحه من مبدأ التكوين
فوق ذوقى و فوق حالى و كشفى

و هو فضل من منعم و معين

(تم بحمد الله و حسن توفيقه)

رقم الإيداع ٤٤٧٢ / ١٩٩٢

I.S.B.N ٩٧٧ – ٥٠٧٥ – ٠ ٣ –٣

تطلب مؤلفات الإمام المجدد

السيد محمد ماضى أبو العزائم

من مكتبة دار الكتاب الصوفى

تليفون المكتبة / 002 022 3901030

١١٤ش مجلس الشعب

فى جانب تفسير القرآن :

١- هذا السفر الجليل " أسرار القرآن ".

٢ تفسير سورة القدر.

فى جانب العقيدة :

١- كتاب عقيدة النجاة .

٢- كتاب الإسلام دين الله وفطرته التى فطر الناس عليها.

فى جانب العلوم الفقهية:

١- كتاب أصول الوصول لمعية الرسول (ﷺ وآله).

٢- صيام أهل المدينة المنورة.

٣- هداية السالك إلى علم المناسك .

فى جانب السيرة النبوية والرد على المستشرقين:

١- سيرة النبى (ﷺ وآله)
٢- وسائل إظهار الحق .

فى جانب ما يجب أن يعرفه المسلم :

١- النشأة الثانية.
٢- الوسيلة وما إختلف فيه من السنة والبدعة.
٣- الشفاء من مرض التفرقة.
٤- الجفر.
٥- تحذير الدين من بيع أراضى فلسطين.
٦- النور المبين لعلوم اليقين ونيل السعادتين.
٧- الرد على نظرية دارون.

فى جانب الأخوة الإسلامية :

١- الإسلام نسب يوصل إلى رسول الله (ﷺ **وآله**).
٢- الإسلام وطن والمسلمون جميعا أهله.

فى جانب المناسبات الدينية :

١- السراج الوهاج فى الإسراء والمعراج
٢- بشائر الأخيار فى مولد المختار
٣- مشارق البيان فى فضائل شعبان
٤- لبيك اللهم لبيك.

فى جانب المسرحيات الدينية :

١- محكمة الصلح الكبرى.
٢- العالم والتاجر والفلاح.
٣- المقتصد والمسرف والفاسد.
٤- السياسى والحكيم والغشيم.
٥- الصالح واللص والسكرى.

فى جانب الصلوات والأدعية :

١- نيل الخيرات بملازمة الصلوات.
٢- الفتوحات الربانية والمنح النبوية فى الصلاة على خير البرية.
٣- الأدعية والاستغاثات الكبرى.

فى جانب التصوف :

١- شراب الأرواح من فضل الفتاح.
٢- تذكرة المرشدين والمسترشدين.
٣- معارج المقربين.
٤- الطهور المدار على قلوب الأبرار.
٥- من جوامع الكلم.
٦- الطريق إلى الله تعالى.
٧- الفرقة الناجية.
٨- دستور السالكين طريق رب العالمين.
٩- دستور آداب السلوك إلى ملك الملوك.
١٠- مصطلحات الصوفية
١١- آداب أل العزائم
١٢- دروس تزكية النفوس
١٣- موارد أهل الصفا
١٤- قبس من المضنون
١٥- الصوفية والتصوف

فى جانب المواجيد:

١- مواجيد شهر محرم، صفر، ربيع أول، ربيع آخر، جماد أول، جماد آخر، رجب، شعبان، رمضان.
٢- المواجيد العزمية فى مواجهة الروضة الحسينية.
٣- ديوان ضياء القلوب من فضل علام الغيوب.

محتويات الكتاب

الموضوع **الصفحة**

فاتحة الكتاب

مقدمة الطبعة الأولى

تمهيد (دستور)

الباب الأول : بيان الواجبات على المسلم

أولا : تحصيل ما به كمال التصديق

ثانيا : تحصيل ما به اليقين بطلب العلم النافع

الباب الثانى : الأصول التى بها الوصول

أولا : اتباعه صلى الله عليه و سلم

ثانيا : المجاهدة

معرفة النفس

ثالثا : التأدب للوارد

رابعا : الصحبة فى الله

الصحبة بالادب

آداب الرجال
آداب الجلوس مع الإخوان
دستور الأدب العام لآل العزائم
رسالة الشفاء
العناية و المحبة
الباب الثالث : السنة و الإجماع و الرأى و أسهم الإسلا
و السنة
حكمة تخصيص اوقات الصلاة
الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر
الدرجة الأولى
الدرجة الثانية
الدرجة الثالثة
الجهاد
الباب الرابع : التوحيد
تعريف التوحيد و مآخذه
كيف نتلقى التوحيد
أولا : الدرس الأول – ثانيا : الدرس الثانى
ثالثا : الدرس الثالث – رابعا : الدرس الرابع
أنواع التوحيد
أولا : توحيد الاقرار
ثانيا : توحيد العلم

ثالثا : توحيد الشهود

رابعا : توحيد وجود التوحيد

خامسا : محو التفريد بالتوحيد

حقائق التوحيد

أولا : توحيد الله نفسه بنفسه

ثانيا : توحيد من أصطفاهم

ثالثا : توحيد الخلق ربهم بالنظر و الاستدلال

عبارات أهل العلم بالله فى التوحيد

الخاتمة